F09
2011
القسم

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد * تلمسان

قسم اللغة والأدب العربي

شعبة الماجستير: علم اللغة الحديث

مذكرة لنيل شهادة الماجستير

النظام اللغوي في سورة يس

إنجاز الطالب

أنور بن شوك

إشراف الدكتور

عبد الحفيظ بوردم

لجنة المناقشة

أ.د/ سيدي محمد غيثري	ـــــــ رئيسا*	تلمسان
د/ عبد الحفيظ بوردم	ـــــــ مشرفا *	تلمسان
أ.د/ عبد القادر سلامي	ـــــــ عضوا*	تلمسان
أ . د/ أحمد مسعود	ـــــــ عضوا*	وهران
د/ خناثة بن هاشم	ـــــــ عضوا *	تلمسان

السنة الجامعية 2009/2008

المقدمة

الحمد لله حمدا كثيرا والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، أما بعد:

فإن مادة هذه المذكرة ومتنها يتعلق بالتحليل اللغوي للقرآن الكريم، من حيث معطياته المنهجية المعيارية والوصفية.

وقد شهدت الدراسات اللغوية معالجات شتى للمتن اللغوي القرآني منذ ما يزيد عن ألف وأربعمائة سنة. ذلك أن العرب وإن كانت أمة أميّة إلا أنها منحت السليقة اللغوية التي تدرك المثالي وتأنف من المنحرف. ولما صار البيان مطمحها الذي تتباهى به، فاجأها نزول القرآن بلغتهم التي يعرفون، ولكن بنظم لم يحققوه من قبل.

وإذ كان فضل القرآن أنه بعث العرب من بداوتهم إلى قيادة الأمم، فإنه قد أمكنهم من الكتابة وسيلة لفتح المغاليق والظهور على الحضارات البشرية ومنحتهم الكتابة انفتاح العقل على التأمل والتدوين.

وبمثل هذا بدأ التفكير اللغوي نشطا يحاول أن يفهم إعجاز القرآن وبلاغة الإنسان، فإذا بالمدونات يتلو بعضها بعضا وإذا بالاجتهادات يناظر بعضها بعضا، وكل ذلك ثراء منقطع النظير.

وعلى الرغم من انتكاسة العقل العربي إلا أن اللغة العربية لم تتنكس وظلت بفضل من الله الذي زينها بالقرآن مهوى الدارسين المشترقين واللسانيين.

وإذ منحت اللسانيات للدرس اللغوي منهجا جديدا يسمونه وصفيا، فإن المهتمين بالنّظام اللغوي انبروا غير هيابين يبحثون عن لسانيات عربية ممكنة قد تشترك مع البنيويات والتوليديات والتوزيعيات والسلوكيات في بعض أصولها، ولكنها لا تغفل عن أمرين اثنين: أحدهما إعجاز النص القرآني، والآخر بيان العربية.

أسباب اختيار الموضوع:

في ضوء هذا كله أقترح هذه المذكرة الموسومة بعنوان:

النظام اللغوي في سورة يس

وبين أن البحث سيلزم صاحبه بتناول الجانب اللغوي وحسب في سورة واحدة من سور القرآن هي سورة يس. والقصد من ذلك هو تناول لغة القرآن الكريم.

أما القول بالنّظام فهو الاعتقاد بأن اللغة إما أن تكون منتظمة الأجزاء وإما أن تكون منفصمة الأجزاء. فتكون بعد ذلك علامة على قائلها.

وقد تهيأت أسباب دفعت إلى الرغبة في إنجاز البحث منها الذاتي ومنها الموضوعي.

فانتسابي إلى شعبة الماجستير (علم اللغة الحديث) التي يرأسها الأستاذ الدكتور محمد غيثري كان حافزا أولا، وللأستاذ جميل الذكر وعطر الثناء.

ثم إن مدارستي للقرآن الكريم أبتغي منه تقويم عقلي وتهذيب لساني جعلني أختاره متنا للدراسة.

ولسورة يس وهي قلب القرآن وقع في النفس مهيب بما تحدثه في قارئها من معان عقلية ووجدانية تجاوز به حد الواقع إلى علم بالله وبأفعاله. وهذا سبب صدارتها للربع الأخير.

ثم كونها مكية – من أواخر ما نزل قبيل الهجرة– يجعلها خطابا تفهمه العرب الفصيحة، فهي خذلان للمكذبين وهي انتصار للمؤمنين، وهي بذلك للغة العربية كما كان يفهما الأولون، وكما نفهمها اليوم.

<u>الإشكالية:</u>

تتبنى إشكالية البحث على سؤالين أحدهما معرفي والآخر منهجي، أما المعرفي فكون القرآن كلاما إلهيا مجاوزا للحد الإنساني من الاستيعاب والإدراك، لأنه يبقى متعاليا بربانيته.

فهل تجري عليه مثل السنن الكلامية التي للعرب على الأقل في لغتها؟

أم هو حالة خاصة نتهيبها ولا نقترب منها؟

وربما فاتنا بذلك خير كثير.

لماذا أقبل العلم العربي في أولانه الأول على النظر في نظام القرآن الكريم؟

هل يمتنع علينا ما جاز لهم؟

وأما المنهجي فيسائل حدود الطاقة الإنسانية لاستيعاب النظام اللغوي القرآني، وعليه تتبني أسئلة أخرى.

هل أخطأ العلم اللغوي العربي سبل اكتشاف المعجز؟ فيجب أن نتجاوز أهل العلم(العلماء).

أم إنهم أحاطوا بأسرار العربية فأنزلوها على القرآن إنزال المقتدرين، فما تركوا لمتأخر لمتأخر من مزيد؟

أم إن التجربة الإنسانية نسبية، وكما أفاد العرب من دقائق العلوم في زمانهم، وجب أن نمتلك جديد البحث لفهم معجز القرآن؟

المنهج المتبع:

بعد إن اطمأنت إلى فرضية انفتاح النظام اللغوي القرآني على التجربة الإنسانية، لأنه خطاب معجز الهدف منه البلاغ والتبليغ، وجدتني أستفيد من قواعد اللغويين في باب الأصوات وفي باب التركيب لأصف بهما النظام اللغوي في سورة يس.

وعلى الرغم من اجتهادي أن أكون واصفا إلا أن روعة البيان وإعجازه، جعلتني أنصرف من مجرد الوصف إلى التنبر

مفردات البحث:

أردت للبحث أن يكون وصفا للنظام اللغوي في فصلين: أحدهما صوتي والآخر تركيبي.

وقسمت كل فصل إلى مبحثين اثنين.

وجعلت المبحث الأول للنظام الصوتي الإفرادي.

والمبحث الثاني للنظام الصوتي التشكيلي.

والمبحث الثالث لأنماط التركيب.

قدمت لها بمدخل تناولت في البعد الإعجازي اللغوي للقرآن.

ثم ختمت الدراسة كلها بخاتمة أجملت فيها منتهيات البحث.

كلمة شكر:

ولا يسعني في الأخير إلا أن أرفع آيات الشكر لله العظيم، ثم لكل من أراده الله أن يكون لي معينا، أخص بالذكر كل أساتذتي منذ درجت صبيا في البيت يرعاني الوالدان إلى أن بلغت يافعا يحوطني الأخوة والأصدقاء والمعلمون والأساتذة بالرعاية.

ولن أنسى فضل الدكتور سيدي محمد غيثري الذي وجهني إلى الدكتور عبد الحفيظ بورديم ليكون مشرفا، فلهما جميل العرفان.

والحمد لله رب العالمين. تلمسان في: 10 ربيع الثاني 1430هـ

المدخل:

أولا: القرآن معجزة اللغة

ثانيا: التحليل اللغوي للقرآن

المـــــدخـــــل

أولا: القرآن معجزة اللغوية

إن إعجاز القرآن أمر متعدد النواحي متشعب الاتجاهات، ومن المتعذر أن ينهض لبيان الإعجاز القرآني شخص واحد ولا حتى جماعة في زمن ما مهما كانت سعة علمهم وإطلاعهم وتعدد اختصاصاتهم، إنما هم يستطيعون بيان شيء من أسرار القرآن في نواح متعددة حتى زمانهم هم، ويبقى القرآن مفتوحاً للنظر لمن يأتي بعدنا في المستقبل ولما يجدّ من جديد. وسيجد فيه أجيال المستقبل من ملامح الإعجاز وإشاراته ما لم يخطر لنا على بال.

وأضرب مثلاً لتعدد نواحي الإعجاز، فإني سمعت وقرأت لأشخاص مختصين بالتشريع والقانون يبيّنون إعجاز القرآن التشريعي، ويبينون لختيارات الألفاظ التشريعية في القرآن ودقتها في الدلالة على دقة التشريع ورفعته ما لا يصح استبدال غيرها بها، وإن اختيار هذه الألفاظ في بابها أدق وأعلى مما نبيّن نحن من اختيارات لغوية وفنية وجمالية.

وقرأت وسمعت لأشخاص متخصصين بعلم التشريح والطب في بيان شيء من أسرار التعبير القرآني من الناحية الطبية التشريحية ودقتها يفوق ما نذكره في علم البلاغة. فألفاظه مختارة في منتهى الدقة العلمية. من ذلك على سبيل المثال أن ما ذكره القرآن من مراحل تطور الجنين في الرحم هي التي انتهى إليها العلم مما لم يكن معروفاً قبل هذا العصر مما دعا علماء أجانب إلى أن يعلنوا إسلامهم. وليس ذلك فقط، بل إن اختيار تعبير (العلقة) و (المضغة) – مثلاً – أعجب اختيار علمي.

فاختيار التعبير بـــ (العلقة) اختيار له دلالته، فإن المخلوق في هذه المرحلة أشبه شيء بالعلقة وهي الطفيلية المعروفة. وكذلك التعبير بـــ (المضغة)، فالمضغة كما قرأنا في كتب التفسير، هي القطعة من اللحم قدر ما يمضغ الماضغ. ولكن لاختيار كلمة (مضغة) سبب آخر، ذلك أن المضغة هي قطعة اللحم الممضوغة أي

التي مضغتها الأسنان، وقد أثبت العلم الحديث أن الجنين في هذه المرحلة ليس قطعة لحم عادية بل هو كقطعة اللحم التي مضغتها الأسنان، فاختيار لفظ (المضغة) اختيار علمي دقيق. إنه لم يقل "قطعة لحم صغيرة" ولو قال ذلك لكان صواباً ولكن قال: (مضغة) لما ذكرتُ وربما لغيره أيضاً والله أعلم.

وقرأت فيما توصل إليه علم التاريخ وما دلت عليه الحفريات الحديثة من أخبار ذي القرنين أدق الكلام وأدق الأخبار ما لم يكن يعرفه جميع مفسري القرآن فيما مضى من الزمان. وأن الذي اكتشفه المؤرخون والآثاريون وما توصلوا إليه في هذا القرن منطبق على ما جاء في القرآن الكريم كلمة كلمة ولم يكن ذلك معلوماً قبل هذا القرن البتة.

وقرأت في اختيار التعبير القرآني لبعض الكلمات التاريخية كـ (العزيز) في قصة يوسف، وكاختيار تعبير (الملك) في القصة نفسها، واختيار كلمة (فرعون) في قصة موسى، فعرفت أن هذه ترجمات دقيقة لما كان يُستعمل في تلك الأزمان السحيقة فـ (العزيز) أدق ترجمة لمن يقوم بذلك المنصب في حينه، وأن المصريين القدامى كانوا يفرقون بين الملوك الذين يحكمونهم فيما إذا كانوا مصريين أو غير مصريين، فالملك غير المصري الأصل كانوا يسمونه (الملك)، والمصري الأصل يسمونه (فرعون)، وأن الذي كان يحكم مصر في زمن يوسف غير مصري، وهو من الهكسوس فسماه (الملك)، وأن الذي كان يحكمها في زمن موسى هو مصري فسماه (فرعون)، فسمى كل واحد بما كان يُسمى في الأزمنة السحيقة. وعرفت من الإشارات الإعجازية في مختلف العلوم كما في أسرار البحار والضغط الجوي وتوسع الكون وبداية الخلق ما دعا كثيراً من الشخصيات العلمية إلى إعلان إسلامهم.

بل إن هناك أموراً لم تُعرف إلا بعد صعود الإنسان في الفضاء واختراقه الغلاف الجوي للأرض، وقد أشار إليه القرآن إشارات في غاية العجب ذلك أن الإنسان إذا اخترق الغلاف الجوي للأرض، وجد نفسه في ظلام دامس وليل مستديم ولم تُر الشمس إلا كبقية النجوم التي نراها في الليل. فالنهار الذي نعرفه نحن، لا

يتعدى حدود الغلاف الجوي فإن تجاوزناه كنا في ظلام لا يعقبه نهار. وقد أشار إلى ذلك القرآن إشارة عجيبة في قوله: "وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ (37)" يس فجعل النهار كالجلد الذي يُسلخ وأما الليل: فهو الأصل، وهو الكل، فشبّه الليل بالذبيحة، والنهار جلدها، فإن سُلخ الجلد ظهر الليل فجعل النهار غلافاً والليل هو الأصل.

وقال: "وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ (14) لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ (15)" الحجر أي لو مكنّاهم من الصعود إلى السماء لانتهوا إلى ظلام وقالوا (سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا) وغير ذلك وغيره.

وعلى هذا فالإعجاز القرآني متعدد النواحي متشعب الاتجاهات ولا يزال الناس يكتشفون من مظاهر إعجازه الشيء الكثير فلا غرو أن أقول إذن: إن الإعجاز أكبر مما ينهض له واحد أو جماعة في زمن ما.

إن التعبير الواحد قد ترى فيه إعجازاً لغوياً جمالياً، وترى فيه في الوقت نفسه إعجازاً علمياً، أوإعجازاً تاريخياً، أو إعجازاً نفسياً، أو إعجازاً تربوياً، أو إعجازاً تشريعياً، أو غير ذلك.

فيأتي اللغوي ليبيّن مظاهر إعجازه اللغوي وأنه لا يمكن استبدال كلمة بأخرى، ولا تقديم ما أُخّر ولا تأخير ما قُدّم، أو توكيد ما نُزع منه التوكيد أو عدم توكيد ما أُكّد. ويأتيك العالم في الطب ليقول من وجهة نظر الطب ألطف وأدق مما يقوله اللغوي. ويأتيك العالم في التشريع ليقول مثل ذلك من وجهة نظر التشريع والقانون ويأتيك المؤرخ ليقول مثل ذلك من وجهة نظر التاريخ، ويأتيك صاحب كل علم ليقول مثل ذلك من وجهة نظر علمه.

إننا ندل على شيء من مواطن الفن والجمال في هذا التعبير الفني الرفيع، ونضع أيدينا على شيء من سُمو هذا التعبير، ونبيّن إن هذا التعبير لا يقدر على مجاراته بشر، بل ولا البشر كلهم أجمعون، ومع ذلك لا نقول إن هذه هي مواطن الإعجاز ولا بعض مواطن الإعجاز وإنما هي ملامح ودلائل تأخذ باليد، وإضاءات توضع في الطريق، تدل السالك على أن هذا القرآن كلام فني مقصود وُضع وضعاً

ووظيفة هذا العلم تتسع إلى توجيه النصوص و التحكم في دلالتها ومقاصدها[1]، فالنحو ليس علامات لفظية فحسب، بل هو موضوع إيضاح المعنى، يقول ابن فارس: " فأما الأعراب فيه تميز المعاني، ويوقف على أغراض المتكلمين وذلك أن قائلا لو قال: " ما أحسن زيدا" – غير معرب– أو "ضرب عمر زيد" –غير معرب –لم يقف على مراده، فإن قال: ما أحسن زيدا أو ما أحسن زيد، أبان بالإعراب عن المعنى الذي أراده[2].

كما بيّن ابن قيمته أيضا في باب أفرده من كتاب الخصائص " باب القول على الإعراب " فقال: "هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ، ألا ترى أنك إذا سمعت أكرم سعيد أباه، علمت برفع أحدهما ونصب الآخر، الفاعل من المفعول، ولو كان الكلام سرجا واحدا لا سبتهم أحدهما على صاحبه[3]. الأمر الذي جعل المفسرين يرونه أداة من أدوات المفسر، فلا تكاد تقرأ تفسيرا للقرآن الكريم إلا ووجدت فيه النحو عاملا أساسيا في فهم المعنى والوقوف على دلالات النص، ونجد السيوطي وضع منهجا في تفسير القرآن وتوّج هذا المنهج الذي يكشف عن معاني كل تركيب[4].

وإلى مثل هذا الرأي ذهب ابن هشام الأنصار حين قال: " إن أصل ما تجنح إلى تحصيله الجوانح وما تيّسر به فهم كتاب الله المنزل ويتضح به معنى حديث نبيّه المرسل وأصل ذلك علم الإعراب الهادي إلى صواب الصواب"[5]، فلولا الإعراب ومعرفة قواعده لما تسنى لنا أن نفهم معاني القرآن المبين وإدراك مواطن جماله

---

[1]– صابربكر، النحو العربي: جذدراسة نصية،دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، د ط، 1988،ص09.

[2] – ابن فارس، الصحابي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تح.عمر فاروق الطباع،مكتبة المعارف،بيروت، دط،1414ه/1993م،ص66.

[3] – أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص،تح،محمد علي النجار،دار الكتاب العربي،بيروت،د.ت، ج01،ص35.

[4] – صابر بكر، النحو العربي : دراسة نصية، ص 09-10

[5] – المرجع نفسه، ص11

دقيقاً ونُسج نسجاً محكماً فريدا، لا يشابهه كلام، ولا يرقى إليه حديث "فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ 34" الطور.

أما شأن الإعجاز فهيهات، أنه أعظم من كل ما نقول، وأبلغ من كل ما نصف وأعجب من كل ما نقف عليه من دواعي العجب.

وجاء في كتاب " البرهان في علوم القرآن" فهو الوحي القرآن " فهو الوحي النزلعلى محمد صلىاله عليه وسلم- للبيان والإعجاز، فيمكن اعتباره إذا أريد به أصل القرآن عند نزوله قبل أن يجمع ويكتب في مصحف عثمان -رضي الله عنه- برسم موحد.

والنحو[1] العربي نشأ مرتبطا ارتباطا وثيقا بالقرآن الكريم، فهو يمثل

خطوة كبيرة في العناية والمحافظة على سلامته، فلولا القرآن لما نشأ هذا العلم الذي تمت له السيطرة فيما بعد على علم من علوم العربية وآدابها[2]، وقد كان اللحن سببا في اختلال الألسنة سببا فعالا في نشأة النحو.

[1] النحو هو القصد.

[2] عبد العال سالم مكرم، القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، دار المعارف ، القاهرة، د ط، 1968، ص20

وجمال بلاغته وإعجازه وسائر أوامره ونواهيه ومصادر أحكامه في حلاله وحرامه وفي آيات وعده ووعيده، فمن القرآن نستقي القواعد وعلى أساسه نصنع القواعد.

ثانيا: التحليل اللغوي للقرآن

المسوّغ المعرفي الذي يمكّننا من اتخاذ البحث اللساني أداة مساعدة لتحليل واستنباط الدلالة القرآنية، يستند إلى الإجابة عن الإشكالات التي تعترض تطبيق اللسانيات في مجال القرآن الكريم، تلك تفرض نفسها من جراء التطبيقات التي أجريت عليه باسم اللسانيات، ومن سؤال الكفاية والحاجة للمناهج العربية الإسلامية التي حِيكت ونسجت بالتعايش مع النص ومن أجله بأيدي علماء المسلمين [1].

الإشكال الأساسي هو النزعة الوضعية في اللسانيات مقابل النص الديني الإلهي المصدر[2]، وإذا كنا نعني بالوضعية المذهب البحثي في العلوم الاجتماعية فإن هذا ينطبق بشكل كامل على اللسانيات، التي قامت – كما ذكرنا آنفاً– وسط تأثيرات العلم التجريبي والسعي نحو ضبط العلوم الإنسانية وفقاً لمناهج العلوم الطبيعية، لكن ذلك يعني من جهة أولى أن العلوم اللسانية قائمة على المحسوس الخاضع للتجربة، أي العلامة اللغوية بشكلها الفيزيائي (الشفاهي والمكتوب)، ويعني من جهة ثانية التعامل مع اللغة واستعمالاتها) :المفردة، الجملة، النص) بوصفها إنتاجاً بشرياً يخضع للمنطق البشري في الإنتاج والتلقي للكلام .

وعلى رغم اعتبار بعض الباحثين أن الدرس اللغوي العربي كان معيارياً، إلاّ أن الجهود الأصولية واللغوية عموماً تثبت أنه عندما تمّ تفحص إشكالية الكلام واستكناه مقوماته العضوية «استطاع أن يتجاوز موضوع بحثه – وهو الكلام– من دون أن ينفصل عنه، فكانت الرؤية لديه ذات بناء تجريبي اختباري، وكان مسارها المعرفي نابعاً من اللغة،»[3] مُطِلاً من خلالها على آفاق النظر المجرّد(على حد تعبير

---

[1]– يمكن مراجعة ما كتبه مصطفى الرافعي في كتابه عن إعجاز القرآن.

[2]– عبد الزاق قسوم: مدارس الفكر الاسلامي المعاصر، دار الغرب الاسلامي بيوت ص 98

[3]- عبد السلام المسدي : التفكي اللساني عند العرب ص 15

اللساني عبد السلام المسدي)؛ ذلك أن التراث العربي اللغوي وفّر لنا أدلة غزيرةً على هذا الاستخلاص الجوهري. فلقد اعتمد البحث العربي على المنطق الاستقرائي، وهو المنطق الذي يحكم البحث التجريبي، واستمد نتائجه في شكل برهاني قائم على الاستدلال بما هو «حادث في اللغة» وليس بما «يجب أن يحدث أو يكون»، ذلك ما أضفى على البحث اللغوي العربي سمته الموضوعية»، وهو الأمر نفسه الذي حصل في اللسانيات وأدى إلى انطلاقها، بل ودخولها في كل العلوم الاجتماعية .

إن كون النص القرآني نصاً لغوياً لا يعني تقديس اللغة وتجاوز التعامل معها بوصفها موضوعاً يخضع لشروط البحث العلمي، فاللغة وسيلة اتصال، وتقديس الرسالة لا يعني تقديس أداة الاتصال ذاتها؛ فثمة اتفاق بين العلماء على هذا المنظور الوظيفي للغة، وهذا يعني نفي أن تكون اللغة قيمة مطلقةً في حدّ ذاتها يسلبها طابع القداسة وسمة التعالي، بل لقد جعل هذا المنطق في النظر إلى اللغة التفسيرَ والتحليلَ موسومَيْن بالموضوعية أيضاً؛ ذلك أن ذات المفسّر ابتداءً يجب ألا تؤثر في استنباطه، إذ يتحدد دوره في «استكشاف المعنى» وليس إنتاجه وتأليفه كما يشير الشاطبي في مقدماته .

بهذا المعنى يمكن القول إن البحث الدلالي في تفسير القرآن عموماً يستند إلى الدليل المادي اللغوي فيتصف بالموضوعية (مقابل الذاتية)، أوليست مقولة «التمسك بالظاهر» هي مقولة عموم المسلمين؟، ثم ألا يشترط العلماء في التفسير موافقة اللغة؟ كل هذا يعود إلى أن القرآن – بحسب اعتقاد المسلمين – هو من عند الله «لفظاً ومعنى»، الأمر الذي حفّز العقل المسلم للبحث اللغوي وطَبَعَه بهذا الطابع الموضوعي إلى الحد الذي أصبح من غير الممكن «الفصل – على أي مستوى – بين الإسلام واللغة.

ثمة انسجام إذاً بين اللسانيات والبحث الدلالي في القرآن الكريم من زاوية اعتماد الدليل اللغوي المادي المحسوس، لكن مسألة الوضعية – كما أشرنا – لا تتوقف عند هذه الحدود في اللسانيات؛ فاللسانيات نشأت وتعاملت مع النصوص اللغوية ضمن المناخ العلماني، فمجال عملها كان الاستخدام الإنساني للغة .

ومن هنا فإن الإشكال – الذي يطرح عادة – هو: كيف يمكن تطبيق قواعد ومناهج أنتجت للكلام والنصوص الإنسانية على النّص الإلهي المصدر، المفارق للوضعية البشرية؟

لا بد من القول أولاً إن المناهج الإسلامية العربيّة لم تفرّق بين النّصين من جهة دلالتهما اللغوية، أقصد بين النّص البشري والقرآن الكريم، وإذا قيل إن المناهج العربية أُسست على محورية النص القرآني، وبه بدأت انطلاقها وذلك يعني أن المناهج العربية قامت أساساً لدراسة النص الإلهي المصدر، فإن هذا القول سيؤدي بنا لاعتبار أن مناهج اللغة العربية هي مناهج أنشئت لدراسة نص إلهي المصدر وطبقت على نصوص بشرية! إلاّ أن أحداً لا يقول بذلك؛ إذ لا يوجد تفريق في الدراسات اللغوية ولا حتى الأصولية يشير إلى الفرق بين الاثنين في المناهج، لكن هل يعني ذلك أنه لا يوجد تمييز في البحوث الدلالية العربية بين النص البشري والنص الإلهي؟ إنها في الواقع تميّز بشكل صارم ولكن على المستوى التأويلي، وليس على المستوى التفسيري اللغوي المباشر. إن الفارق بين نسبة النص إلى الله (سبحانه وتعالى) ونسبته إلى الإنسان يتوضّع في نقطتين أساسيتين :

نسبية المعنى والقصد في النص البشري وارتباطها بالسياق الثقافي والتاريخي، في حين يمتلك النص (المفترض أنه إلهي المصدر) القدرة على التعالي فوق المعطى التاريخي مع وصفه» فاعلاً آنياً يؤسس التاريخ ويؤثر فيه، ويصنع الثقافة ويتجاوزها دائماً إلى أصلٍ قائمٍ فيه، غائب عن الثقافة، أي لم تقله ولم تفكر فيه بعد» وهذا ينسجم مع الإيمان بعالميّة الرسالة وأبديتها باعتبارها أمراً ممكناً ومعقولاً، وهذا بالطبع يقتضي عدداً من اللوازم ليس هنا مجال شرحها .

ثم إنه بينما يمكن للنص الإنساني أن يكون ذاتياً لا يحمل رسالةً سوى التعبير عن الذات؛ كما هو الحال في النص الإبداعي الأدبي الشعري، إلاّ أنه بالنسبة نصٍ منسوب إلى الإله المطلق (كما هو متصور في العقيدة الإسلامية) المستغني عن غيره يعني بالضرورة هدفاً وغايةً ليست ذاتية، وإنما تتعلق بالمفارق (المرسل إليه)؛

ذلك أن الله منزه عن العبث، وغير محتاج لأن يعبر عن ذاته لغيره؛ لأجل ذلك ما كان من الممكن للقرآن أن يكون شعراً .

وإذا كان النص القرآني من إحدى زوايا النظر إليه يتمتع بجانب عظيم من الأدبية – وهو أمرٌ يشترك فيه مع النص الإنساني – فإن التركيز على الأدبية واعتبارها الوجه الأوحد للنص يمكن أن يفضي إلى إخضاعه للمعايير الإنسانية؛ لأجل ذلك يمكن القول إن القرآن يتداخل في بنيته مع كل أنواع النصوص الأدبية والإنشائية والخبرية، لكنه في اللحظة ذاتها مفارق لها جميعاً؛ كما توصل الباقلاني في دراسته عن إعجاز القرآن[1].

[1] أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عندالعرب ص 103

الفصل الأول

النظام الصوتي في سورة يس

المبحث الأول: النظام الصوتي الإفرادي

المبحث الثاني: النظام الصوتي التشكيلي

المبحث الأول : " النظام الصوتي الإفرادي"

أولاً : النظام الصوتي للكلمات في السورة .

ثانيا : النظام المقطعي للآيات في السورة .

أولا: النظام الصوتي للكلمات في السورة .

1/ قواعد تأليف الأصوات في العربية :

إن اللغة العربية بكلماتها واستعمالاتها المختلفة قائمة على أصول ومبادئ . وكل لفظة منها أخذت سمتا معينا حسب قواعد خاصة .

وهذه الأبنية اللغوية لها فلسفتها الخاصة التي لا تتوافر لأي لغة من لغات العالم فهي تستجيب للاستفهام ، وتجيب السائل عنه ، فكل أصل لغوي معللة بعلة ، ولم يبن اعتباطا أو بدون هدف .[12]

وكلام العرب مبني على مبدأ الاستخفاف والاستثقال ، فما خف على الحس كثر دورانه على الألسنة ، وما ثقل أهمل استعماله أو قل .[13]

وقد خاض في هذا الميدان علماء العربية وعلى رأسهم أصحاب المعاجم التي صدرت بمقدمات حوت قواعد البناء في العربية .[14]

والعلماء الأجلاء ذموا التنافر ومدحوا التلاؤم ، الذي هو تعديل الحروف في التأليف وجعلوا التلاؤم قسمين ، فإذا انضاف التنافر يكون تأليف الكلام على ثلاثة أوجه ، متنافر ومتلائم ي الطبقة الوسطى ، ومتلائم في الطبقة العليا ، وهو القرآن الكريم .[15]

---

[12] – ينظر : عبد الغفار حامد هلال ، أصوات اللغة العربية – ص 165 .

[13] – ينظر ابن جني : الخصائص : تحقيق :محمد علي النجار – بيروت –دار الكتب الغربي– د ط دت.ج1.ص 24–57–67.

[14] – ينظر :إخوان الوفاء وخلان الصفاء ،رسائل – دار بيروت للطباعة – 1983 . ج1 – ص 194 .

[15] – ينظر : الرماني ، النكت في إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز) تحقيق: محمد خلف الله ، محمد زغلول سلام – مصر – دار المعارف – 1968م – ط2. – ص 95 .

ومن فوائد التلاؤم حسن الكلام في السمع وسهولته في النطق ، وتقبل النفس لمعناه لما يرد عليه من حسن الصورة ، فإذا أضيف إلى التلاؤم حسن البيان صار في أعلى الطبقات ، وظهر الإعجاز لمن كان جيد الطبع بصيرا بجواهر الكلام .[16]

وقد ذكر القدامى من طرق تآلف الأصوات في البناء العربي فاستحبوا اجتماع بعضها في كلمة واحدة . واستقبحوا اجتماع البعض الآخر ، خوفا من الثقل والتنافر ، وهذا الأخير هو ما يعتري الكلمة المفردة ، من ثقل يتعسر معه النطق بها ، مما يقتضي جهدا عضليا زائدا يتعب اللسان [17]. وسنورد بعض الأبنية الصوتية للعربية مع التمثيل من السورة مع الشرح والتحليل .

فقد أوضح الخليل أن اتحاد مخارج الأصوات أو تقاربها ، قد يؤدي إلى إهمال بعض الكلمات ، فنذكر في باب العين والحاء أنه لا تأتلف منهما كلمة واحدة مستعملة لتقارب مخرجيهما [18]. وإلى هذا أيضا أشار ابن دريد حيث نبه الباحث في معجمه على أهمية الحروف لمعرفة الأبنية ، وما يتألف منها ، وما لا يأتلف ، وسر كل منهما وأوضح أن قرب المخارج يمنع من تأليف بعض الكلمات ، لثقلها على اللسان ، إذ قال :« اعلم أن الحروف إذا تقاربت مخارجها كانت أثقل على اللسان منها إذا تباعدت ،

---

[16] – ينظر : الباقلاني :إعجاز القرآن – تحقيق :أحمد صقر –القاهرة –دار المعارف –1981م– ط5 – ص 270 .

[17] – الشيخ، عبد الواحد حسن :التنافر الصوتي والظواهر السياقية – مصر– مكتبة الإشعاع –1999م – ط1. – ص 08 .

[18] – ينظر السيوطي : المزهر : تحقيق محمد جاد المولى بك ومحمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي – بيروت – مكتبة صيدا – 1986م . المجلد1 – ص 185 .

لأنك إذا استعملت اللسان في حروف الحلق دون حروف الفم ، ودون حروق الذلاقة ، كلفته جرسا واحدا وحركات مختلفة ، ألا ترى أنك لو ألفت بين الهمزة والهاء والحاء فأمكن لوجدت الهمزة تتحول هاء ...نحو قولهم أم والله ، هم والله ... » [19]

فالخليل تحدث عن تنافر الحروف الذي يحدث إذا تركب الكلام من مخارج بعيدة أو قريبة . لأن الكلام إذا قربت أصواته قربا شديدا ، كان ذلك بمنزلة المقيد.

فالعين والحاء لا تجتمعان في بناء عربي ، لأن العين صوت احتكاكي ، حلقي ، مجهور مرقق والحاء صوت حلي احتكاكي مهموس مرقق ، فلهذا القرب الشديد بين الصوتين العين والحاء ، لا تأتلف منهما الكلمة العربية [20]، وبالفعل هنا ما لاحظناه في آيات سورة التغابن حيث لم ترد كلمة تجمع بين الحاء والعين : الحمد، رحيم ، عذاب ، جمع ، العزيز ....

وقد أجاز العلماء اجتماع الكاف والقاف بصوت الشين لتفشيه ، فالشين صوت غاري احتكاكي مهموس مرقق ، متفش . يتكون حين يلتقي طرف اللسان بمؤخرة اللثة ومقدم الحنك الأعلى [21]. والتفشي ناتج عن كثرة انتشار الهواء بين اللسان والحنك [22]. وقد ائتلفت الشين مع الكاف في السورة الكريمة متمثلة في لفظة: شكور .

وخلاصة ما توصل إليه العلماء هو نفي أن يكون تباعد المخارج سببا في عدم التلاؤم ، لأن الحروف كلما تباعدت في التأليف كانت أحسن ،وإذا

---

19 – ابن دريد : الجمهرة 9/1 .
20 – ينظر دالي صباح : البناء الصوتي في سورة الكهف ص 69 .
21 – ابن جني : سر الصناعة 77/2 .
22 – ينظر : خولة طالب الإبراهيمي ، مبادئ اللسانيات – ص 88 .

أصوات تجري من السمع مجرى الألوان في البصر ، ولاشك أن الألوان المتباينة إذا جمعت كانت في المنظر أحسن من الألوان المتماثلة » [26].

ومن الأبنية في اللغة العربية ما يمنع اجتماع ثلاثة أصوات من جنس واحد ، أي من مخرج واحد ، خدمة للتلاؤم الصوتي ، وطلبا للخفة ، والتمكن من النطق وأصعب هذه الأصوات حروف الحلق . وإن اجتمع اثنان في كلمة عربية يبدأ بالأقوى من الصوتين ، ويؤخر الألين والأضعف [27]. أو إذا اجتمع منها في كلمة اثنان وجب أن يكون بينهما فاصل[28]. مثل : أصحاب – الأنهار فقد فصل بين الهمزة والحاء بالصاد في المثال الأول وبالنون في المثال الثاني وقد تجمع هذه الأصوات في مواضع ثلاثة [29] :

الأول :أن نبدأ بالهمزة ، فيجاورها من بعدها أحد الأحرف الحلقية كالهاء نحو [أهلهم] [30] .

الثاني : ائتلاف الهاء مع العين ، ولا تكون العين إلا مقدمة لأن العين مجهور احتكاكي مرقق ، والهاء مهموس احتكاكي .

الثالث :ائتلاف العين مع الخاء ، ولا تكون الخاء إلا مقدمة . ففي كلا الموضعين الأخيرين لم نعثر على أمثلة في السورة .فإذا اجتمع صوتان من مخرج واحد وجب الابتداء بالأقوى وتأخير الأضعف .

كما أن الحروف التي تحسن في التركيب الصوتي وقد حددها العلماء ، وهي القاف والعين ، حيث رأوا أنهما لا يدخلان في كلام إلا حسنتاه ،

---

[26] – ابن سنان الخفاجي :سر الفصاحة: شرحه :عبد المتعال الصعيدي– القاهرة– مكتبة محمد علي صبيح –1969م – ص54 .

[27] – ابن دريد : الجمهرة 9/1 .

[28] – ينظر السيوطي : المزهر 192/1 .

[29] – ابن جني : سر الصناعة 812/2 .

[30] – يس /50 .

لأنهما أطلق الحروف ، فالعين أنصع الحروف جرسا [31]. ولذها سماعا ، أما القاف فأمتن الحروف وأنصعها جرسا . فالعين صوت حلقي احتكاكي (رخو) مجهور مرقق ، والقاف صوت لهوي انفجاري (شديد) مهموس شبه مفخم أي مستعل ، وهذان الصوتان إذا أدخلا في بناء عربي استحسن ذلك التركيب ، من مثل ما جاء في السورة : عليم ، عذاب ، لتبعثن ، الجمع ، أطيعوا ، العزيز ، قدير ، خلق ، بالحق، يوق، قرضا ....

أما الأصوات التي يمتنع مجيئها في التركيب هي الضاد والكاف ، لكن إذا تقدمت الضاد ائتلفت وإذا تأخرت لا تتركب في أصل العربية [32].

ومن الأصوات التي لا تتركب بعضها مع بعض سواء تقدمت أو تأخرت ، وهي : السين والتاء والزاي والظاء والصاد ، وذلك لتقارب مخارج هذه الأصوات تقاربا يؤدي إلى الثقل و التعاظل في النطق [33].

الأصوات التي يجب وقوعها في بناء الكلمة العربية وقد حددوها بأنها الحروف الذلقية ، وهي ستة : الفاء والباء ، والميم واللام ، والراء والنون وحروفها أخف الحروف نطقا ، وأكثرها في الكلام ، وأحسنها في البناء .

أكثر الأصوات استعمالا عند العرب هي : الواو ، الياء والهمزة . وأقل ما يستعملون على ألسنتهم لثقلها : الطاء ثم الدال ، ثم الثاء ثم السين ثم الفاء ثم الحاء ثم العين ثم النون فاللام فالراء ، فالباء ثم الميم .

وأحسن أضرب التأليف في العربية تأليف الحروف المتباعدة .

---

[31] – ينظر : الفراهيدي : العين 53/1 .

[32]– ينظر :أبي منصور الأزهري: تهذيب اللغة : تحقيق عبد السلام هارون ، مصر ، دار القومية العربية للطباعة –1964م . المجلد1 – ص46 .

[33] – ينظر :عبد الواحد حسن الشيخ : التنافر الصوتي والظواهر السياقية – ص 26.

الدراسة الإحصائية لأصوات سورة يس.

الأصوات الصامتة :

عدد الأصوات الصامتة في السورة الكريمة هي : 845 صوت وهي مقسمة حسب الجدول الآتي :

الصوت	عدد التواتر	النسبة المئوية	الصوت	عدد التواتر	النسبة المئوية
أ	52	6.15	ض	06	0.71
ب	38	4.49	ط	04	0.47
ت	39	4.61	ظ	02	0.23
ث	03	0.35	ع	32	3.78
ج	06	0.71	غ	08	0.94
ح	16	1.89	ف	36	4.26
خ	07	0.82	ق	14	1.65
د	14	1.65	ك	35	4.14
ذ	16	1.89	ل	141	16.68
ر	40	4.73	م	86	10.17
ز	06	0.71	ن	67	7.93
س	19	2.25	و	61	7.22
ش	06	0.71	هـ	47	5.56
ص	11	1.30	ي	33	3.90

الجهر والهمس :

الأصوات المجهورة ونسبها		الأصوات المهموسة ونسبها	
أ	6.15	س	2025
ب	4.49	ك	4.14
ج	0.71	ت	4.61
د	1.65	ف	4.26
ذ	1.89	ح	1.89
ر	4.73	ث	0.35
ز	0.71	ه	5.56
ض	0.71	ش	0.71
ظ	0.23	خ	0.82
غ	0.94	ص	1.30
ل	16.68	ق	1.65
م	10.17	ط	0.47
ن	7.93		
و	7.22		
ي	3.90		
ع	3.78		

النسبة الإجمالية للأصوات المجهورة هي : 71.89 %.

النسبة الإجمالية للأصوات المهموسة هي : 28.01%

2/ الشدة والرخاوة .

الإنفجارية – الاحتكاكية – المتوسطة .

الأصوات ونسبها	الشديدة	الأصوات ونسبها	الرخوة	الأصوات ونسبها	المائعة
ب	4.49	س	2.25	ل 16.68	
ت	4.61	ز	0.71	ر 4.73	
د	1.65	ص	1.30	م 10.17	
ط	0.47	ش	0.71	ن 7.93	
ض	0.71	ذ	1.89		
ك	4.14	ث	0.35		
ق	1.65	ظ	0.23		
أ	6.15	ف	4.26		
		هـ	5.56		
		ح	1.89		
		خ	0.82		
		ع	3.78		
		غ	0.94		

النسبة الإجمالية للأصوات الشديدة :34.99 %.

النسبة الإجمالية للأصوات الرخوة : 24.69 %.

النسبة الإجمالية للأصوات المائعة : 39.51 %.

نسبة الجيم المركب في السورة الكريمة :0.71 %

3/ الانفتاح والإطباق :

الانفتاح ونسبته		الإطباق ونسبته	
أ	6.15	ص	1.30
ب	4.49	ض	0.71
ت	4.61	ط	0.47
ث	0.35	ظ	0.23
ج	0.71		
ح	0.89		
خ	0.82		
د	1.65		
ذ	1.89		
ر	4.73		
ز	0.71		
س	2.25		
ش	0.71		
ع	3.78		
غ	0.94		
ف	4.26		
ق	1.65		
ك	4.14		
ل	16.68		

م	10.17		
ن	7.93		
و	7.22		
هـ	5.56		
ي	3.90		

النسبة الإجمالية لحروف الانفتاح هي : 97.19 % .

النسبة الاجمالية للحروف المطبقة هي : 2.71 % .

4/الاستعلاء والاستفال:

الاستفال ونسبته		الاستعلاء ونسبته	
أ	6.15	ط	0.47
ب	4.49	ظ	0.23
ت	4.61	ص	1.30
ث	0.35	ض	0.71
ج	0.71	ق	1.65
ح	1.89	خ	0.82
د	1.65	غ	0.94
ذ	1.89		
ر	4.73		
ز	0.71		
س	2.25		
ش	0.71		
ع	3.78		
ف	4.26		
ك	4.14		
ل	16.68		
م	10.17		
ن	7.93		
هـ	5.56		

و	7.22		
ي	3.90		

النسبة المئوية لحروف الاستفال هي : 94.78 % .

النسبة المئوية لحروف الاستعلاء هي : 5.12 % .

5/ الذلاقة والاصمات :

المذلق ونسبته		الإصمات ونسبته	
ب	4.49	أ	6.15
م	10.17	ت	4.61
ر	4.73	ث	0.35
ن	7.93	ج	0.71
ف	4.26	ح	1.89
ل	16.68	خ	0.82
		د	1.65
		ذ	1.89
		ز	0.71
		س	0.25
		ش	0.71
		ص	1.30
		ض	0.71

0.47	ط		
0.23	ظ		
3.78	ع		
0.94	غ		
1.65	ق		
4.14	ك		
7.22	و		
5.56	هـ		
3.90	ي		

النسبة المئوية الأصوات المذلقة هي : 48.26 % .

النسبة المئوية للأصوات المصمتة هي : 51.64 % .

المفخمة والمرققة :

المرقق		المفخم	
أ	6.15	ص	1.30
ب	4.49	ض	0.71
ت	4.61	ط	0.47
ث	0.35	ظ	0.23
ج	0.71	خ	0.82
ح	1.89	غ	0.94
د	1.65	ق	1.65
ذ	1.89		
ز	0.71		
س	2.25		
ش	0.71		
ع	3.78		
ف	4.26		
ك	4.14		
م	10.17		
ن	7.93		
و	7.22		
هـ	5.56		
ي	3.90		

نسبة اللام المفخمة هي :12.05%.

نسبة اللام المرققة هي :87.94%.

نسبة الراء المفخمة هي:72.5 %.

نسبة الراء المرققة هي : 27.5%.

نسبة الأصوات المرققة إجمالا هي :88.40 %.

نسبة الأصوات المفخمة إجمالا هي : 11.59 %.

2- الصوائت ونسبها :

نوع الحركة	عدد استعمالاتها	النسبة المئوية
الفتحة	**495**	**%54.81**
الكسرة	**194**	**%21.99**
الضمة	**193**	**%21.88**

أ - الصوامت :

التحليل :هذه هي النتائج التي توصلنا إليها، بعد العملية الإحصائية لأصوات آيات سورة يس إذ أننا ما نلاحظه هو ارتفاع نسبة الصفات القوية، مقارنة بنسبة الصفات الضعيفة .

فالصوامت المجهورة كانت أكثر شيوعا في السورة الكريمة ، إذ قدرت النسبة المئوية ب 71.89% مقارنة بالصوامت المهموسة التي بلغت نسبتها 28.01% ، فـــالكثرة الغالبة من الأصوات اللغوية في كل السورة مجهورة « ومن الطبيعي أن تكون كذلك وإلا فقدت اللغة عنصرها الموسيقي

ورنينها الخاص الذي نميز به الكلام من الصمت ، والجهر من الهمس . فالحنجرة هي أداة الصوت الأساسية وما يتكون في غيرها من أصوات إنسانية لا يكون كلاما مسموعا واضحا ذا درجات موسيقية منسجمة يمكن ضبطها وقياسها . »[1]

أما عن الأصوات الشديدة والرخوة فقد كانت الكثرة الغالبة للأصوات المائعة إذ بلغت نسبتها 39.51% فهذه الأصوات ناتجة إثر انسداد فموي تام فلا يسمح للهواء بالمرور وبالتالي يتخذ طريقه في الأنف .[2]

والملاحظ في الآية الكريمة هو كثرة ورود هذه الأصوات مما جعل نسبتها مرتفعة . أما الأصوات الشديدة فقد ظهرت بنسبة 34.99% إذ أنها تدل غالبا على الأحداث الشديدة وترتبط بها . فتكرار الأصوات الانفجارية تساعد على نسج الدلالة . في السورة مع المعاني وتولد موسيقى قوية وعنيفة . أما الصوامت الرخوة ، فقد استخدمت استخداما رائعا ، فهي بصفاتها الصوتية الخاصة تصور المعاني تصويرا حسيا وتضفي عليه جرسا موسيقيا موحيا مؤثرا ، فبالرغم من نسبة ورودها الضعيفة 24.69% ذلك أن هذه الأصوات تمتلئ بتطبيق مجرى الهواء الخارج من الرئتين في موضع من المواضع بحيث يحدث الهواء في روجه احتكاكا مسموعا و نوعا من الحفيف .[3]

أما الصوت المزجي أو المركب : الجيم فقد تكرر ست مرات في عدة مفردات كالجمع ، جنان ،أجر ، وارتبط بموسيقى عذبة موحية مؤثرة .

---

[1]– إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص :21 .
[2] – ينظر : :خولة طالب الإبراهيمي: مبادئ اللسانيات ص : 58 .
[3] – ينظر : إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص 30 .

وقد قلت نسبة الأصوات المطبقة ، فقد بلغت 2.71% وهي نسبة قليلة جدا مقارنة مع الأصوات المنفتحة 97.19% وما ينطبق عليه ينطبق أيضا على الأصوات المستعلية والمستفلة ، فقد بلغت الأولى 05.12 % والثانية 94.78% .

وإذا حللنا هذه الظاهرة ، أي قلة استعمال هذا النوع من الأصوات ، وجدنا أن اللسان مع أصوات الإطباق يرتفع إلى الحنك الأعلى متخذا شكلا مقعرا . والعرب تكره هذا الانتقال أي ارتفاعه لينخفض مرة أخرى ، وتسمى هذه الظاهرة بالتحليق pharyngalisation .

وأصوات الاستعلاء نفسها هي : أصوات الإطباق ، مضافا إليها القاف والخاء والغين . وهي نفسها أصوات التفخيم ، ويتم الاستعلاء بتصعيد مؤخر اللسان إلى الطبق. بغير إطباق أي باستعلاء فقط ويكون مع الخاء والغين والقاف [1].

ويلاحظ على هذه النتائج ورود أصوات الذلاقة والإصمات بنسب متقاربة حيث بلغت نسبة الأولى 48.26 % والثانية 51.64% . وقد طابقت هذه النتيجة ما نص عليه القدماء مثل الخليل وغيره . فقد جاء في معجم العين : « أصوات الذلاقة تتكون من ستة أصوات هي : الراء ، اللام ،النون ، الفاء ،الباء والميم ، فإن وردت في كلمة رباعية أو خماسية معراة من حروف الذلق فاعلم أن تلك الكلمة محدثة مبتدعة . » [2]

[1] – ينظر : دالي صباح : البناء الصوتي في سورة الكهف ص : 92 .
[2] – ينظر الفراهيدي : العين 52/1 .

وما تتصف به هذه الأصوات هي الخفة والسلاسة على اللسان ، وهذا ما أكده ابن جني والرضى الاستراباذي ، فقد عللا سعة انتشارها بسهولة جريانها أثناء النطق [1].

اللام مثلا بلغت نسبتها في السورة 16.68% وهي أعلى النسب إذ ترددت 141مرة ويفسر لنا شيوع اللام في العربية ظاهرة إدغامها في معظم الأصوات الصامتة حين تكون أداة تعريف [2] ثم الميم 86 % وبعدها النون 67مرة والراء 40 مرة . وما تجدر الإشارة إليه أن هذه الأصوات سميت في الدراسات الحديثة بأشباه الصوائت . وقد أوضح البحث الصوتي أن هذا النوع كثير الشيوع ، وذلك بعد استقراء معاجم اللغة العربية والقرآن الكريم .

أما فيما يتعلق بالمعاجم فقد تبين أن الراء وردت بأعلى نسبة ، ثم النون ، ثم الميم واللام . أما فيما يتعلق بالقرآن فقد تبين أن اللام وردت 33022 مرة والنون 26525 مرة [3]. ثم الميم والراء . والعلة في ذلك كما توصل إليها علم الأصوات الحديث أن مجرى النفس مع هذه الأصوات لا تعترضه بعض الحوائل، وهي صفة من صفات الصوامت .[4]

ولا يكاد يسمع لهذه الأصوات أي نوع من الحفيف . وتعد أيضا من أكثر الصوامت وضوحا في السمع ، وهي بذلك كثيرة الشروع سهلة من حيث النطق.[5]

---

[1] – ينظر : ابن جني : سر الصناعة 64/1 .
[2] – ينظر : إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص 24 .
[3] رابح بوحوش: البنية اللغوية لبردة البويصري – الجزائر – ديوان المطبوعات الجامعية . ص 59 .
[4] – ينظر : إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص 27 .
[5] – ينظر : م . ن . ص – ص 27 .

وإذا علمنا أن هذه السمات هي صفة أشباه الصوائت التمسنا لوجودها في السورة تعليلا ، ذلك أنها أدت دورها ونجحت بصفاتها المتميزة كالسهولة والوضوح السمعي ، والتأثير في التبليغ . فقد أنتج لنا هذا النسيج الصوتي الإيقاع الموسيقي ، وأدركنا سر الصوت اللغوي ، ودوره في البناء القرآني .

ويرجع استعمال ودوران النون والميم في السورة لطول المدة الزمنية التي يستغرقها كل منهما في النطق . وهما أيضا الصوتان الأنفيان في العربية يتمتعان بصفة الغنة ، أضفت عليهما ميزة موسيقية ، التي تنشأ عن ضغط الهواء الخارج من الرئتين بالفم عند النطق بأحدهما ، فيخرج الهواء من الأنف بسهولة ويسر .

أما عن الصوتين الآخرين ،الباء والفاء فقد حظيا أيضا بنصيب وافر ، إذ بلغ تواتر الصوت الأول (الباء) 38 مرة ، وبلغ دوران الثاني (الفاء) 36 مرة ويعود ذلك لخفتهما أمام التيار الهوائي الخارج من الرئتين . فهما صوتان شفويتان لا دخل للسان في إخراجهما .[1]

أما استقراؤنا للأصوات الصائتة فقد أسفر عن النتائج الآتية :

فقد بلغت نسبة الفتحة 56.12% ونسبة الكسرة 21.88% أما نسبة الضمة فبلغت 21.88% .

ويتبين أن الفتحة بنوعيها (الحركة الطويلة والقصيرة) أسهل الصوائت نطقا، حيث يحرك الإنسان لسانه إلى الأسفل قدر المستطاع ، ويسحبه إلى الخلف قدر الإمكان ، ويبسط شفتيه عن غير تدوير . وتتميز بأنها صائت أمامي (من الحركات الأمامية) . منفتح مستدير ، فموي ، وينطبق هذا الوصف على

---

[1] – ينظر : دالي صباح : البناء الصوتي في سورة الكهف ص : 94 .

الفتحة المرققة في العربية الفصحى [1]. وتتفرع منها الألف أو ما يسمى بالفتحة الطويلة ، ولا تختلف عنها إلا في الطول ، ولها وصفان ، أحدهما أساسي هو الفتحة الطويلة المفخمة التي توصف بأنها صوت خلفي فيه استدارة وانفتاح [2].

وقد حازت الفتحة لتميزها بهذه الصفات بحصة كبيرة في البناء الصوتي للسورة ، واتسمت بكثرة سيرورتها فيها .

وأما الكسرة فتعد صائتا أماميا منغلقا ، ليس فيه استدارة الفم ، ينفتح بارتفاع مقدم اللسان نحو الحنك الأعلى حتى يبلغ أقصى ما يمكن الوصول إليه دون أن يرتطم بالحنك [3].

ولهذه الصفات جعلت منها حركة سهلة نوعا ما ، بما أنها من الحركات الأمامية ولذلك كثر دورانها .

أما الضمة فقد كانت نسبتها متقاربة مع نسبة الكسرة على الرغم من أنها صائت خلفي ومنغلق ومستدير . وينتج بإرفاع أقصى اللسان نحو أقصى الحنك، وهذه الحركة تعد نوعا ما صعبة الإخراج ، كما أنها من أثقل الحركات [4]. إلا أنها قد حظيت بمكانتها في البناء الصوتي للسورة كما أنها قد أضفت نوعا من النغم الموسيقي قد ميز تراكيبها.

1 – ينظر : :خولة طالب الإبراهيمي: مبادئ اللسانيات ص : 94 .
2 – ينظر : م . ن . ص : ص 95 .
3 – ينظر : محمد الأنطاكي : الوجيز في فقه اللغة ص 229 .
4 – ينظر : عبده الراجحي : فقه اللغة في الكتب العربية ص 231 .

ثانيا : النظام المقطعي.

1/ المقطع الصوتي ومكوناته :

إذا كانت الأصوات هي العناصر البسيطة التي تتكون منها الكلمة العربية ، فإن بين الصوت المنفرد والكلمة المركبة من عدة أصوات ، مرحلة وسيطة هي مرحلة المقطع.

قد يلجأ المعلم في دروس الإملاء إلى تجزئة الكلمة الواحدة عند إملائها على صغار التلاميذ لتتضح لديهم صورة الكلمة ، فيسهل عليهم كتابتها بصورة صحيحة، وهذا العمل راجع إلى إحساس نفسي بتنظيم الوحدات الصوتية للكلمة في مجموعات، وهو ما يعبر عنه بالمقطع [1]– syllabe.

فالمقطع الصوتي هو مجموعة من الأصوات التي تمثل قواعد صوتية مكونة من أصوات صامتة تتلوها قمة مكونة من أصوات العلة ، واتفق على كون هذه القمة نواة عالية الاسماع ، على أنه يجب أن نضع في حسابنا أنه لا يمكن وضع حد محوس للمقطع الصوتي ، لأن الكلام الإنساني متداخل الأجزاء ، بحيث يكتسب الجزء القوي شيئا من ضعف الجزء الذي يليه أو يسبقه ويمكن أن يحدث العكس[2].

والمقطع في أبسط صورة مزيج صامت وصائت ، فهو يعد أصغر وحدة تركيبية يتفق مع طريقة اللغة في تأليف بنيتها ، ويعتمد على الإيقاع النفسي إذن فقاعدته الأساسية هي نبضة صدرية يصحبها تعزيز عضلي .

---

[1] – ينظر : محمد منصف القماطي : الأصوات ووظائفها .

[2] – ينظر : عبابنة ، يحيى :دراسات في فقه اللغة والفونولوجيا العربية – عمان – دار الشروق –2000م–ط1.

ومن هذا المنطلق سنلجأ إلى استعمال الرمز [ص] للدلالة على الصوت الصاما والرمز [ح] للدلالة على الأصوات الصائتة "الحركات" . وبالتالي يمكن القول أن المقاطع تعبيرات عن نسق منظم من الجزئيات التحليلية ، أو خفقات صدرية في أثناء الكلام ، أو وحدات تركيبية أ أو أشكال وكميات معينة [1].

فالعروضيون العرب قد بنوا مقاييسهم على أن المقاطع عبارة عن خفقات صدرية أو وحدات إيقاعية كما وصفوا النظام الإيقاعي العروضي باستخدام الاصطلاحين (حركة وسكون) فدلوا على الحركة بعارضة (-) وعلى السكون بدائرة (0)[2] وبالتالي فقد كان هناك تطابق بين هذا النظام ونظام المقطع في الدس الحديث ، إذن فإن العرب القدماء قد عرفوا المقطع ولكن بعيدا عن المصطلح ذاته ، فما ورد منه في بحوث الأصوات فهو بمعنى المخرج أمال ابن جني [3].

كما يعد الفارابي (ت 339هـ) أول من وجد عنده لفظة مقطع بمعناها الحديث، إذ ذكر في كتابه (الموسيقى الكبير) كلاما مفصلا عن الصوت اللغوي الإنساني الدال ، والمقطع الصوتي بما يظهر قدرته على الإفادة من فكرة المقطع في دراسة أوزان الشعر .[4]

---

[1] – ينظر : دالي صباح : البناء الصوتي في سورة الكهف ص : 98 .

[2] – ينظر : رمضان عبد التواب : المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث ص : 138 – 139 .

[3] – ينظر : :خولة طالب الإبراهيمي: مبادئ اللسانيات ص : 115 .

[4] – ينظر : دالي صباح : البناء الصوتي في سورة الكهف ص : 102 .

ويعرفه عبد الرحمن أيوب باعتبار المقطع وحدة نطقية ، وأن تكون هذه الأخيرة ماديا مقسمة بتقسيم المقاطع في العبارة ، ويرى أنه من الواضح دائما العلماء الأصوات أنها تتداخل في نطقها ، وهذا التداخل يعني أنه من وجهة النظر الأدائية لا يمكن اعتبار الصوت ممثلا لعملية مستقلة عن العملية اللازمة للصوت السابق أو اللاحق له [1].

2/ أنواع المقاطع الصوتية في اللغة العربية :

من المعلوم أن الأصوات الصائتة (الحركات) لا تقع في بداية المقطع الصوتي العربي في اللغة العربية ، وذلك على عكس الأصوات الصامتة التي تبدأ بها المقاطع ويمكن أن تنتهي بها أيضا . وإذا نظرنا إلى لغتنا العربية سنجد أنها تشتمل على خمسة أنواع وهي :

أولا : المقطع القصير المفتوح :

وهو يتكون من صامت + صائت قصير (ص ح) أو (CV)* مثل الفعل "كتب" يتكون من ثلاث مقاطع قصيرة مفتوحة ك + ت + ب .

ثانيا : المقطع الطويل المفتوح :

وهو يتكون من صامت + صائت طويل (ص ح ح) (VCC) مثل المقطع الأول من كلمة داخل ، خارج ، فارس [2].

---

[1] – أيوب عبد الرحمن : الكلام إنتاجه وتحليله – الكويت – مطبوعات جامعة الكويت 1984م – ط1. ص 196 .

*– تشير إلى الصامت (consonne) و (v) إلى الصائت (voyelles) وحين يتكرر (ح أو v) فإن ذلك يدل على الصوت الصائت الطويل .

[2] – ينظر : رمضان عبد التواب : التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه –القاهرة – مكتبة الخانجي1990– م – ط2. ص95.

ثالثا :**المقطع الطويل المغلق** : وهو يتكون من صامت + صائت طويل + صامت (ص ح ص)(CVC) مثل المقطع الثاني في فعل الأمر " قم ".

رابعا : **المقطع الطويل المنغلق بحركة طويلة** : وهو يتكون من صامت + صائت طويل + صامت (ص ح ح ص) (CVVC) مثل المقطع التالي في الفعل " قـَـالَ" "بـَـاعَ " [1].

خامسا : **المقطع الزائد الطول** :وهو يتكون من صامت + صائت قصير + صامت + صامت (ص ح ص ص)(CVCC)[2].مثل المقطع التالي في الكلمة "مصر" "عصر".

والأنواع الثلاثة الأولى من المقاطع العربية، هي الشائعة وهي التي تكون الكثرة الغالبة من الكلام العربي ، أما النوعان الآخران "أي الرابع والخامس" فقليلا الشيوع ولا يكونان إلا في أواخر الكلمات حين الوقف [3].

فمن أمثلة المقطع الرابع ، المقطعان الأخيران من كلمة "وللضالين" وهما ضال + لين ونلاحظ أن المقطع الأول جاء حين الوقف على اللام الأولى من اللام المدغمة السابقة أما المقطع الثاني ، فقد جاء في آخر الكلمة على الوجه الآتي "لين" [4].

كما أننا سنلاحظ هذه النتائج عند دراسة النسيج المقطعي للسورة .

---

3 – ينظر : حسام البهنساوي: علم الأصوات ص 151 .

1 – ينظر : ريمون الطحان : الألسنية ص 70 .

2 – ينظر : إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص 164 .

4 – ينظر : حسام البهنساوي: علم الأصوات ص 150 .

أ- **تقسيم المقاطع العربية من حيث الكلمة :**

- **مقاطع قصيرة** : وهو المقطع المكون من (ص ح) أي صامت + صائت ، وهو كثير الشيوع في بنية الكلمات العربية نحو المقاطع في كلمة دَخَلَ : ص ح، ص ح ، ص ح.

- **مقاطع متوسطة** : تشمل المقطعان التاليان : ص ح ح أي صامت + صائت طويل وَ ص ح ص.

- **مقاطع طويلة** : هو ما تألف من صامتين أو أكثر مع صائت طويل ، نحو ، باب ، عود (ص ح ح ص) أو من ثلاثة صوامت مع صائت قصير ، نحو : بدر (ص ح ص ص)[1] .

ويطلق بعض الدارسين على المقطع المتوسط صفة الطويل في وصفنا الآنف صفة المغرق في الطول أو صفة المديد [2].

ب - **تقسيم المقاطع العربية من حيث الشكل :**

تنقسم هذه المقاطع بالنظر إلى ما تنتهي به إلى :

- **مقاطع مفتوحة** :(syllabes ouvertes) إذا انتهى المقطع بالصائت الطويل أو القصير أي (ص ح) أو (ص ح ح) نحو : بَ ، م .

- **مقاطع ملغقة** :(syllabes fermées) إذا انتهى المقطع بالصائت، نحو: مِنْ، قَلْ (ص ح ص) أو (ص ح ح ص) نحو بَابْ أو انتهى بصامتين

[1] - ينظر : إبراهيم أنيس:_موسيقى الشعر : 1982م - ط2 ص 147 .
[2] - توفيق محمد شاهين :علم اللغة العام ص 106 .

نحو: نَمَلْ (ص ح ص ص) في حال الوقف. والمقطع الأخير يسمى عند البعض مضاعف الإغلاق لانتهائه بصامتين .[1]

فكل المقاطع العربية يجب أن تبدأ بصامت وذلك وفقا للقاعدة المشهورة مفادها أن العرب لا تبدأ بساكت و لا تقف على متحرك .[2]

3- مميزات المقطع في اللغة العربية :

دلت الدراسات حول المقطع في العربية الفصحى على عدد من الخصائص المهمة منها :

1- إن المقطع في اللغة العربية لابد من أن يبدأ بصامت .

2- يتبع الصائت الصامت الذي يشكل بداية المقطع .

3- لا يجوز أن يبدأ المقطع بصامتين .

4- لا تزيد مقاطع الكلمة المجردة من اللواحق على أربعة إلا نادرا .

5- أكثر ما يمكن للكلمة أن تتركب منه هو سبعة مقاطع مع كل زيادة نحو : فَسَيَكْفِيكَهُمُو .

6- أقل ما تتركب منه الكلمة هو مقطع واحد .

7- لا يجوز وقوع المقطع الخامس في صدر الكلمة أو حشوها ، لأنه خاص بالوقف .

8- لا يجوز تكرار المقطع الثاني (ص ح ح) ، في كلمة مجردة ثلاث مرات .

---

[1] - الحمزاوي : محمد رشاد :المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية - الجزائر - المؤسسة الوطنية للكتاب - دط - 1987م . ص 157 .

[2] - ينظر : محمد منصف القماطي : الأصوات ووظائفها ص 16 .

9- لا تقبل الكلمة العربية تآلف مقطع من النوع الثالث (ص ح ص) ، مع مقطعين من النوع الثاني (ص ح ح) نحو : سرغايا* وهو علم أعجمي .

10- لا تقبل الكلمة العربية أيضا تآلف مقطع من النوع الثاني (ص ح ح) ،مع مقطعين من النوع الثالث نحو : شاهبندر* الفارسية [1] .

11- لا تقبل الكلمة العربية كذلك تآلف مقطع من النوع الثاني مع مقطع من النوع الخامس .

12- تميل العربية إلى رفض المقطع الرابع (ص ح ح ص) في كثير من المواقع ، وذلك بتحويله إلى مقطع من النوع الثالث (ص ح ص) نحو : لم يقول (ص ح ح ص) ، لم يقل (ص ح ص) إذ يكاد ورود المقطع الرابع يقتصر على الوقف نحو باب (ص ح ح ص) أو على تكرار الصامت الذي ينتهي به نحو : الضالين.

كما ترجع أهمية الدراسة المقطعية لأسباب كثيرة من بينها نذكر أن معرفة المقطع في لغة ما تؤدي إلى الوقف على طريقة نطقها فإذا أريد تعلم إحدى اللغات نطقت كلماتها نطقا بطيئا، مجزءا إلى مقاطع، ثم يتدرج ذلك إلى السرعة العادية حتى يتقن المتعلم هذه اللغة بنطقها الصحيح [2].

وعن طريق دراسة المقاطع يعرف نسج الكلمة في لغة من اللغات، ففي العربية مثلا نستطيع معرفة ما ليس بعربي ، فما خالف النسج المألوف فيها فهو أعجمي

---

[1] – ينظر : محمد الأنطاكي : الوجيز في فقه اللغة ص 261 .

* – سرغايا : علم لقرية في سوريا بمحافظة دمشق * شاهبندر التجار : نقيبهم .

[2] – ينظر : أحمد عمر مختار : دراسة الصوت اللغوي : ص 240 .

[1]. والمقطع أساسي لاكتساب طريقة النطق، فأحسن طريقة للتعود على النطق الصحيح هي نطق الكلمات مقطعا مقطعا [2]. وهنا تكمن أهمية المقطع .

- الدراسة الإحصائية لمقاطع السورة:

لا يكتمل البناء الصوتي إلاّ بمعرفة النسيج المقطعي لآيات السورة الكريمة ، وقد عرفنا في الدراسة النظرية أنواع المقاطع في العربية وسنقوم الآن بدراسة تطبيقية لنختبر ما قاله القدماء والمحدثون في المقطع وأنواعه وخصائصه انطلاقا من نص فصيح يمثله القرآن الكريم ولتكون النتائج برهانا على ما جاء في النظري .

وبعد العملية الإحصائية وتقسيم آيات السورة إلى المقاطع الصوتية التي يتكون بها نسيج الكلمات العربية تحصلنا على هذه النتائج:

الجدول -1- :

نوع المقطع	عدد الورود	نسبتها
ص ح	301	%44.26
ص ح ح	150	%22.06
ص ح ص	218	%32.06
ص ح ح ص	11	%1.61
ص ح ص ص	00	%00

ملاحظة :إن تبعنا للتحليل المنطقي في السورة، أوقفنا على ظاهرة اختفاء النموذج الخامس (ص ح ص ص) .

[1] – ينظر : إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص 129 .
[2] – ينظر : أحمد عمر مختار : دراسة الصوت اللغوي : ص 240 .

نتائج المقاطع بحسب الكمية والشكل :

الجدول -2- :

المقاطع بحسب الكمية	عدد الورود	نسبتـــــــــها
القصيرة {ص ح	301	% 44.26
المتوسطة {ص ح ح {ص ح ص	368	%54.12
الطويلة {ص ح ص ص {ص ح ح ص	11	% 1.61

الجدول -3- :

المقاطع بحسب الشكل	عدد الورود	نسبتـــــها
المقاطع المفتوحة {ص ح {ص ح ح	451	%66.32
المقاطع المغلقة {ص ح ص {ص ح ح ص {ص ح ص ص	229	%33.67

التحليل والتعليق :

ما يمكن ملاحظته من النتائج المتوصل إليها هو شيوع الأنواع الثلاثة بحيث شكل الكثرة الغالبة ، إذ بلغت نسبة(ص ح) وحده 44.26% و(ص ح ح) 22.06 % و(ص ح ص) 32.06 % أما النوع الرابع فقد ورد بنسبة ضئيلة قدرت ب 1.61% أما النوع الخامس (ص ح ص ص) فلم يرد في السورة .

ومن اللافت للنظر كذلك أن هذه المقاطع الثلاثة وحدها هي التي يبنى عليها الشعر العربي فيما عدا حالات نادرة يرد فيها المقطع الطويل في قافية بعض الأوزان .[1]

والملاحظ من خلال الإحصاء أن هناك نماذج ممتنعة في تركيب الكلمات العربية أو التي في حكمها عندما تتصل كلمتان أو ثلاث كلمات فتشكل لنا لفظا واحدا ، بمعنى أنها تخالف الفصاحة العربية في نسج المقاطع الصوتية العربية.[2]

مما يلاحظ على نتائج الإحصاء كثرة ورود المقطع المفتوح القصير (ص ح) في السورة الكريمة ، ويأتي بعده في التركيب المقطع المتوسط المغلق (ص ح ص) ، وفي المرتبة الثالثة المقطع المتوسط المفتوح ، لأن هذه المقاطع الثلاثة الأولى هي التي يتكون منها نسيج الكلمة العربية في الكلام المتصل .

أما المقطعان الثالث والرابع فالعربية تأبى استعمالهما وتميل إلى هجرتهما كلما أوتيت إلى ذلك سبيلا .

كما أن العربية تميل إلى المقاطع المفتوحة مما نجدها تستعملها بكثرة وهذا ما أثبته الإحصاء حيث بلغت نسبتها 66.32% في مقابل 33.67% للمقاطع

---

[1] – ينظر : إبراهيم أنيس: موسيقى الشعر ص 147 .

[2] – ينظر تمام حسان : مناهج البحث ص 144 .

المغلقة وهذا راجع لقلة المقطعين المغلقين الرابع والخامس اللذين لا يأتيان إلا في حالة الوقف .

وتميل العربية إلى استخدام المقاطع المتوسطة المتمثلة في المقطعين (ص ح ص) ، (ص ح ح) لأن معظم الكلمات الأحادية المقطع تتكون من المقطع القصير (ص ح) أو المقطعان الثاني والثالث .

كما هو معلوم ،فاللغة العربية لها من الكلمات ذات المقطع الواحد التي غالبا ما تتكون من المقطع القصير أو المتوسط ، وهي في معظمها أدوات نحوية أو لواحق صرفية .

أما غير الأدوات فقلما نجد منها ما تركيبه مقطع واحد قصير أو متوسط ، مثل ما جاء في السورة ، نحو :خلق(متكونة من ثلاث مقاطع قصيرة مفتوحة) وكثيرة هذه النماذج في السورة وفي العربية لأنها تحوي الكثير من الأفعال الثلاثية .

والفعل يَعْلَمُ (ص ح ص، ص ح، ص ح) يتكون من مقطع متوسط مغلق ومقطعان قصيران مفتوحان .

ونظرتنا إلى بناء الكلمة العربية من خلال التطبيق، اتفقنا على أن فيها من المقاطع المتوسطة المغلقة (ص ح ص) الكثير، لأن المباني الصرفية تكثر منها، نحو: كم ،ومن ، وعن ،ولو ،وهل ،وبل .

أما ورود أكثر من ثلاثة مقاطع من النوع الأول في الكلمة المجردة من اللواحق فممنوع ومكروه، وقليل في الكلمة التي لحقها نوع من الزيادة [1]. نحو: رسلهم: المؤلفة من المقاطع التالية: (ص ح ، ص ح ، ص ح ، ص ح ص)، وهذا ما يفسر أيضا كثرة المقطع الأول .

[1] – ينظر محمد الأنطاكي : الوجيز في فقه اللغة ص 260 .

ويرد المقطع الثاني (ص ح ح) في كلمات كثيرة ، شريطة ألا يتكرر المطع نفسه ثلاث مرات في الكلمة المجردة ، أما الكلمة التي لحقت بها زيادة ما فإن ذلك مسموح نحو: فقالوا : (ص ح ، ص ح ح ، ص ح ح) .

ويرد المقطع الثالث (ص ح ص) في تأليف الكلمة كثيرا. فهو يرد أول الكلمة، نحو: يَعْلَمُ (ص ح ص ،ص ح ،ص ح) ووسطها نحو: ثُكــفَّرْ: (ص ح ،ص ح ص، ص ح ص) وآخرها نحو: عَلِيمٌ:(ص ح ،ص ح ح،ص ح ص) .

وتمزج المقاطع السابقة بطرق تشكيلية مختلفة لتشكيل معظم الكلام العربي [1].

[1] – ينظر : إبراهيم أنيس : الأصوات اللغوية ص 167 .

المبحث الثاني: النظام الصوتي التشكيلي

أولا : الظواهر التشكيلية.

ثانيا : التغييرات التركيبية.

أولا: الظواهر التشكيلية

تتألف الكلمة، من مجموعة من الأصوات المتتابعة، تتألف على هيئة مقاطع، ومن هذه التجمعات يوقف على صورة المتكلمين النطقية، قوة وضعفا، وشدة وليونة .

وبناء على هذا يلاحظ قارئ اللغة ودارسها، عند قراءة نص ما، على وتيرة واحدة وجود وحدات صوتية دنيا مثل الأصوات والمقاطع الصوتية، لأن الكلام ليس أصواتا منفردة أو منعزلة أو مقاطع مستقلة، لا يكتفي بالوحدات الصوتية الدنيا، بل يتألف من وحدات صوتية كبرى، ولهذا أضاف المحدثون تنوعا هو النبر، وعدُّوه واحدا من الأصوات فوق التركيبية، رغم عدم اشتراكه في تركيب البنى اللغوية واقتضائه للتحقيق طاقة وجهدا عضليا .[1]

1/ النبر ACCENT :

إذا استقصينا مفهوم النبر ووجوده عند اللغويين العرب من نحاة وأصحاب المعاجم اللغوية، نجد أن النبر عند العرب هو ارتفاع الصوت وبروزه. فالنبر هو المكافئ الاصطلاحي للهمز عندهم، وإن كليهما يتطلب نشاطا متحدا من أعضاء النطق، فنبر « الهمزة كان في المبالغة في حبس الهواء في الحنجرة وإن كان على هيئة سكتة خاطفة » [2].

فاللغويون القدامى قد عبروا عن النبر بمسميات مختلفة كالهمز والعلو والرفع ومطل الحركات والارتكاز، والإشباع والمد وكلها تفضي إلى مستوى دلالي واحد.[3]

---

[1] - محمد ،منصف القماطي : الأصوات ووظائفها ص 106 .
[2] - ينظر : عبد الصبور شاهين : القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث ص 29 .
[3] - ينظر : صباح دالي : البناء الصوتي في سورة الكهف ص 127 - 128 .

أ- تعريف النبر :

النبر هو الضغط على مقطع معين من الكلمة ليصبح أوضح في النطق من غيره لدى السمع، أو بعبارة أخرى هو وضوح نسبي للصوت إذا قورن ببقية الأصوات والمقاطع في الكلام. والمقطع المنبور بقوة ينطقه المتكلم بجهد أعظم من المقاطع المجاورة له في الكلام . لأن النطق حين النبر يصحبه نشاط كبير في أعضاء النطق جميعها في وقت واحد. ويترتب على ذلك أن الصوت يغدو عاليا وواضحا في السمع [1]. وهذا الضغط هو ما يسميه المحدثون من اللغويين بالنبر Accent - stress [2].

يقول كانتينو: « النبرة هي إشباع مقطع من المقاطع، بأن تقوي إما ارتفاعه الموسيقي، أو شدته، أو مداه أو عدة عناصر من هذه العناصر في نفس الوقت، وذلك بالنسبة إلى نفس العناصر في المقاطع المجاورة»[3] مشيرا في هذا التعريف إلى أشكال النبر وأنواعه.

وقد عرف النبر عند أصحاب المعاجم بأنه ضغط المتكلم على الحرف[4] ويتطلب النبر جهدا زائدا يبذل من أعضاء النطق، فيصحب المقطع المنبور هذا الجهد الزائد فيعطيه قوة في الوضوح والظهور أكثر من المقاطع المجاورة له في الكلمة أما المقطع غير المنبور فيقل معه نشاط هذه الأعضاء حتى يقل وضوحه في السمع ولذا فإن المنبور يكون أكثر من سواه في الكلمة، وأكثر تصويتا .[5]

[1] - ينظر : إبراهيم أنيس : الأصوات اللغوية ص 170 .
[2] - ينظر : حسام البهنساوي : علم الأصوات ص 153 .
[3] - ينظر : صباح دالي : البناء الصوتي في سورة الكهف ص 129 .
[4] - ينظر : ابن منظور : لسان العرب مادة (ن ب ر)
[5] - ينظر حامد هلال : أصوات اللغة العربية ص 217 .

ويعرفه إبراهيم أنيس بأنه: « شدة في الصوت أو ارتفاع فيه وهما متوقفان على نسبة ضغط الهواء المندفع من الرئتين» [1].

ب – قواعد نبر الكلام في العربية :

ليس لظاهرة النبر تعقيد وتنظير في العربية كما أننا لا ندري موضع النبر في هذه اللغة الفصحى، فقد ارتأى القراء واللغويون المختصون في القراءات القرآنية المعاصرة استنباط مواضع النبر في العربية القديمة وطابقوها على العربية الفصحى مستخلصين قواعد تقريبية من جهة وجزئية من جهة أخرى ...إذ لم تكن مثل قواعد النحو وأحكام الصرف [2]. وقد حدد العلماء مواضع النبر في العربية الفصحى كما يلي:

أ– النبر على المقطع الأول :

في حالة توالي ثلاثة مقاطع متماثلة من النوع المفتوح القصير (ص ح) مثل مقاطع: أحد – عدد – رشد – أمد. فالمقاطع المنبورة هي: الألف، العين، الراء والهمزة وهي المقاطع الأولى.

حالة اشتمال الكلمة على أكثر من ثلاثة مقاطع إلا أن الثلاثة الأولى من النوع المفتوح القصير (ص ح) مثل مقاطع: كلمة، جعله فالمنبور هو المقطع الأول: الكاف، الجيم .

إذا كانت الكلمة أحادية المقطع أي كلها مقطع واحد كالكلمات الآتية حال الوقف: بأس (ص ح ص ص) ، نار(ص ح ح ص) ، قم (ص ح ص) فالمنبر هنا يقع على الكلمة كلها لأنها أحادية المقطع [3].

---

[1] - ينظر : إبراهيم أنيس : الأصوات اللغوية ص 170 .
[2] - ينظر : أحمد مختار عمر : دراسة الصوت اللغوي ص 308 .
[3] - ينظر:السعران محمود :علم اللغة : مقدمة للقارئ العربي-حلب- ديوان المطبوعات الجامعية-1994م-دط.ص 190.
( ) إشارة نستعملها للدلالة على المقطع المنبور .

ب- المنبر على المقطع الأخير:

إذا كان المقطع من النوع الرابع (ص ح ح ص)، أو الخامس(ص ح ص ص) وذلك في الوقف ، نحو : نستعين ، الضالين ، المستقر ، فالمنبر يقع على (عين)، (لين)، (قر) وهو المقطع الأخير من هذه الكلمات .

ج - المنبر على المقطع قبل الأخير:

إذا كان المقطع قبل الأخير من النوع الثالث (ص ح ص) مثل: يستدعي (ص ح ص، ص ح ص ، ص ح ح) .

إذا كان المقطع قبل الأخير من النوع الثاني (ص ح ص) مثل : ينادي (ص ح، ص ح ح ، ص ح ح).

إذا كان المقطع قبل الأخير من النوع الأول (ص ح)ومن نوع المقطع الأخير أيضا مثل : ناضل (ص ح ح ، ص ح،ص ح) [1] ، آنصر (ص ح ص،ص ح ص) [2] .

د- النبر على المقطع الذي يسبق ما قبل الأخير:

ويرد في حالات منها:

1- إذا كان المقطع الذي سبق ما قبل الأخير من النوع الأول، وسبق بنظير له من النوع الأول أيضا مثل : ازدهر وقع النبر فيها على الدال.

2- إذا كان المقطع الأخير من النوع الثالث (ص ح ص) والذي قبل الأخير من النوع الثالث (ص ح ص) مثل: رَكَبَكْ ،قدْمَكْ (ص ح ص ،ص ح ص) حال الوقف.

[1] - ينظر : حسام البهنساوي : علم الأصوات ص 158 .
[2] - ينظر : صباح دالي : البناء الصوتي ص 138 .

3- إذا كان المقطع الأخير من النوع المفتوح الطويل والذي من قبله من المفتوح القصير مثل: قِنمُوا، أكرَمُوا فالنبر فيها يقع على المقطع الذي سبق ما قبل الأخير وهو الأول: قد ،أك [1] والنبر في كل الأحوال لا يتعدى المقطع الثالث.

ويحدد بعض الدارسين مواقع النبر اعتمادا على ما سمعوه في العربية الفصحى، وأن النبر يقع على أول مقطع طويل من الكلمة ابتداء من آخره إذ خلت من المقاطع الطويلة وقعت النبرة على المقطع الأول منها، ثم إنها لا تقع البتة على المقاطع الطويلة الآخرة وذلك نحو: يقاتلوا.

ولابد من الإشارة أن القواعد التي ذكرناها آنفا قواعد تقريبية وليست في قواعد الصرف والنحو في الاطراد، لأن الدارس الذي أنتجها درس محدث لا يشمل الكلام العربي المتعدد المستويات، ولا مناص من وجود اختلاف بين الدارسين المحدثين حول القواعد التي يجري عليها النبر.

ج- انتقال النبر :

ننتقل النبر من مقطع لآخر في الكلمات العربية إذ أن اشتقاق كلمة من أخرى قد يؤدي إلى تغيير موضعه.

مثلا إذا اشتققنا من المصدر: انشراح فعلا ماضيا مثلا: انشرح فالنبر ينتقل للمقطع الذي قبله في الكلمة الثانية .

ويسمى هذا النوع بالنبر الاشتقاقي إذ ينتقل وفق تلونات الصيغة الاشتقاقية للكلمة، ويعلل إبراهيم أنيس سقوط حركات الإعراب في المستوى العامي بسبب هذا النوع .

[1] - ينظر : أحمد عمر مختار : دراسة الصوت اللغوي ص 309 .

وكذلك نلحظ انتقال النبر، حين يسند الفعل الماضي إلى ضمائر الرفع المتحركة، مثلا: جَعَلَ ، جَعَلْتُ .

كما يتغير مكان النبر بحسب وظيفة الفعل المضارع الإعرابية فإذا قلنا مثلا: يلعب وعند جزم الفعل لنا: لم يلعب إذ حصل تغيير في نوع المقاطع وفي النبر.[1]

واستنادا إلى مبدأ الوضوح والبروز والارتكاز للمقاطع قسم المحدثون النبر إلى درجات وهي:

1- النبر الرئيسي علامته (^) ويسمى كذلك بالقوي .

2- النبر الثانوي أو الوسيط وعلامته (/) .

3- النبر الضعيف وعلامته (|) .

وقد ميزوا هذه الأنواع بعلامات وضعوها فوق نواة المقاطع المنبورة.[2]

2/ التنغيم INTONATION :

التنغيم هو:« ارتفاع الصوت وانخفاضه مراعاة للظرف المؤدي فيه أو تنويع الأداء للعبارة حسب المقام المقولة فيه »[3]، ويكون هذا التنويع على مستوى الكلمة كما يكون على مستوى الجملة أو العبارة [4]، أي إعطاء الكلام نغمات معينة تنتج من اختلاف درجة الصوت التي تتحد وفق عدد الذبذبات التي يولدها الوتران الصوتيان. ويسميه البعض "موسيقى الكلام" والبعض الآخر بالارتكاز .

---

[1] - ينظر : إبراهيم أنيس : الأصوات اللغوية ص 177 - 178 .
[2] - ينظر : محمود السعران : علم اللغة ص 190 .
[3] - عبد الغفار حامد هلال : أصوات اللغة العربية ص 225 .
[4] - ابن جني : الخصائص 370/2 - 371 .

يدرك الدارس لأول وهلة أن كثيرا من الظواهر اللغوية بات أمرها مرتبطا بالتنغيم ، بل اعتمدوه وفسروا به بعض قضاياهم خاصة تلك المتعلقة بتفسير بعض نصوص القرآن الكريم وتأويلها وحتى في إعادة قراءة بعض الأعمال الأدبية الكبرى .

فقد أصبح التنغيم وتعبيرات الوجه من وسائل فهم الباب النحوي وما كان لنا أن نطرقه دون استعانة به. يقول ابن جني : « وقد حذفت الصفة ودلت الحال عليها وذلك فيما حكاه صاح الكتاب من قولهم : سير عليهم ليل وهم يريدون ليل طويل ، وكأن هذا إنما حذفت فيه الصفة لما دل من الحال على موضعها.» [1] فإن مثل هذا الحديث يحمل إشارات علمية دقيقة تبرز قمة تفكير القدامى في إرساء نسق قاعدي محكم .

فقد استخدم القدماء عدة مصطلحات وهذا دليل على معرفتهم بالتنغيم، خاصة وأن له علاقة بالموسيقى، والعرب عرفوا العروض والإيقاع منذ القرن الأول الهجري على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي .

ويقرن بعض الدارسين المحدثين التنغيم في الكلام المنطوق ، ويماثله من حيث الأهمية بالترقيم بالكلام المكتوب رغم أن التنغيم ربما يكون أكثر أهمية من الترقيم ، فبالإمكان أن نتابع الكلام المكتوب دون ترقيم ، ولكن مع الكلام المنطوق تبرز أهمية التنغيم في إبراز القيم الدلالية ، فالتنغيم تنويع في درجات الصوت خفضا وارتفاعا في الوحدة الدلالية ، مهما تنوعت مقاطعها ، وظهورها ضمن سياق الكلام .[2]

ونجد بعض الدارسين يفرقون بين نوعين من اختلاف درجة الصوت وهما:

---

[1] - ينظر : صباح دالي : البناء الصوتي في سورة الكهف ص 143 - 144 .
[2] - ينظر : أحمد عمر مختار : دراسة الصوت اللغوي ص 191 .

أ- النغمة **TONE** : وهي الأثر الناتج من ازدياد عدد الذبذبات أو انخفاضها على صعيد الكلمة ، وبعبارة أخرى اختلاف درجات الصوت في الكلمة الواحدة، « فالأصوات التي يتكون منها المقطع الواحد د تختلف في درجة الصوت، وكذلك الكلمات قد تختلف فيها »[1]. ويستعمل هذا النوع في بعض اللغات للتفريق بين المعاني المختلفة لكلمة واحدة ومثال ذلك كلمة "فان" في اللغة الصينية تؤدي ستة معاني : نوم ، يحرق ، شجاع ، واجب ، يقسم ومسحوق [2] .

وفي اللغة العربية صور من هذا النغم التميزي الذي يلعب دور الوظيفة التمييزية ، وتختلف بحسبه المعاني ، فكلمة "ليل" تدل بنطق خاص على الظلام وبنطق آخر تدل على طوله .

وكذلك كلمة "إنسان" فبنطق خاص تدل دلالة عامة على هذا المخلوق ، فإذا أطيل النطق بالمقطع الذي قبل الأخير ، دل دلالة خاصة على الإنسان الفاضل ، أو الكامل في صفاته ، وبطريقة أخرى من النطق تدل على ذمته.

ويأخذ النغم أشكالا مختلفة صعودا وهبوطا أو منهما معا . لأن النغمة تقسم على أنواع انطلاقا من ثباتها وتغيرها فمنها المستوية والصاعدة والهابطة[3]. ويكتب كما تكتب الموسيقى على خطوط أفقية .

ب- التنغيم **Intonation**: وهو اجتماع نغمات ضمن مجموعة من الكلمات على صعيد الجملة ، وهو وصف الجمل ، وأجزاء الجمل ، وليس الكلمات المنعزلة ، فالتنغيم يكون على مستوى الجملة [4].

وتنغيم العبارات عبارة عما يلاحظ من التنوعات الموسيقية في الكلام ، وهو يرتكز على ما للمتكلم من قدرة على التحكم في عضلات نطقه ويتدخل في

---

[1] - إبراهيم أنيس : الأصوات اللغوية ص 176 .
[2] - ينظر : م . ن . ص ص 176 .
[3] - ينظر تمام حسان : مناهج البحث ص 167 .
[4] - ينظر : أحمد عمر مختار : دراسة الصوت اللغوي ص 193 .

طبيعة النطق والتنغيم موقف الكلام وحالة المتكلم النفسية وطبيعة المخاطبين والبيئة التي يلقى فيها الكلام وغيرها من الظروف المحيطة .

فالتنغيم يغني عن كلام طويل في السياق، ولا نستطيع الحكم على معنى الجملة إذا كانت جملة خبرية تقريرية، أو استفهامية، أو تعجبية أو تدل على الموافقة إلا بالتنغيم [1]، نحو:

- نجحت في الامتحان خبرية تقريرية .
- نجحت في الامتحان !! تعجبية إذا أخبرنا بالنتيجة فنرد الجملة متعجبين.
- نجحت في الامتحان ؟ استفهامية .
- نجحت في الامتحان إذا لم أكن ناجحا وأردت السخرية من نفسي .

وللنغمة من حيث الدرجة أربعة أنواع وهي :[2]

1- النغمة المنخفضة . 3- النغمة العالية .

2- النغمة العادية . 4- النغمة العالية جدا أو فوق العالية .

وطبيعي أن وصف النغمات بالانخفاض والعلو راجع إلى عدد ذبذبات الصوت، فدرجة النغمة تعلوا كلما ازداد عدد ذبذبات الصوت وتنخفض كلما انخفض عدد الذبذبات .[3]

وقد اجتهد تمام حسان في دراسة التنغيم وتوصل إلى النماذج التنغيمية في العربية الفصحى محددا إياها كما يلي :

أ- **الإيجابي الهابط** : ويستعمل في تأكيد الإثبات ، أو تأكيد الاستفهام بكيف وأينما ومتى وبقية الأدوات عدا الهمزة وهل .

ب- **الإيجابي الصاعد** : ويستعمل في تأكيد الاستفهام ب : هل أو الهمزة .

[1] - الإبراهيمي :خولة طالب : مبادئ اللسانيات ص 120 .
[2] - ينظر : أحمد عمر مختار : دراسة الصوت اللغوي ص 193 .
2- ينظر :خولة طالب الإبراهيمي : مبادئ اللسانيات ص 120 .

ج- **النسبي الهابط** :ويستعمل ي الإثبات غير المؤكد كالكلام الجاري في التحية والنداء وتفصيل المعدودات .

د- **النسبي الصاعد** :ويستعمل في الاستفهام بلا أداة أو هل أو الهمزة .

هـ - **السلبي الهابط** : ويستعمل في الكلام الجاري في الأسف والتحسر والتسليم مع خفض الصوت .

و- **السلبي الصاعد** :ويستعمل في التمني والعتاب مع نغمة ثابتة أو مما قبلها[1].

وخلاصة القول أن المجموعة الكلامية التامة المعنى لابد من أن تنتهي بنغمة هابطة ، أما المجموعة الكلامية غير التامة المعنى فلابد من انتهائها بنغمة صاعدة أو ثابتة أعلى مما قبلها .

*** التطبيق :**

يعتبر التنغيم من وسائل البيان في أي لغة ، ولما كان ظاهرة لغوية ، تعددت وظائفه حسب الرؤيا التي ندرس بها اللغة ، إذ يمكننا أن نستنبط من أن الكلام البشري معرض في أصله إلى مجموعة من التغيرات الصوتية . فالكلام قد يكون كلمة واحدة وقد يكون جملة « حيث تكون النغمة هي العنصر الوحيد الذي نشأت عنه المعاني المتباينة »[2].

وقد أدركنا من هذه الدراسة المقتضبة أن كثيرا من الظواهر اللغوية بات أمرها مرتبطا بالتنغيم ارتباطا قويا فقد أصبح التنغيم وتعبيرات الوجه من وسائل فهم الباب النحوي . كما قد عد « التنغيم قيمة استبدالية ، عند الحديث عن الغرض القصدي للمتكلم» [3]. وهذا ما سنلاحظه من النماذج الآتية المستقاة من السورة الأنموذج :

---

[1] - ينظر :خولة طالب الإبراهيمي : مبادئ اللسانيات ص 123 .
[2] - ينظر عاطف مذكور : علم اللغة بين التراث والمعاصرة ص 104 .
[3] - ينظر عبده الراجحي : فقه اللغة في الكتب العربية ص 168 .

اتفق جمهور النحاة على أن الجملة الاستفهامية جملة إنشائية ، ويلج التنغيم من هذا الباب معدلا بعض الآراء النحوية إزاء هذا الأسلوب رغم وجود أدوات الاستفهام ولهذا ارتأينا توضيح أهمية التنغيم من خلال تأكيد الاستفهام بإحدى أدواته وذلك في قوله تعالى :

{أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾} [1]

ففي هذه الآية الكريمة جاء الاستفهام واضحا بالهمزة كما أضاف التنغيم للآية قيمة تعبيرية أكدت معناها .

كما أن وجود أداة الاستفهام ليس بالضرورة يتبع سؤالا معينا ، ولو أنها اكتست الصبغة الاستفهامية ، فهي ليست استفهاما وهذا ما أكده كمال بشر بقوله: « حقيقة أن هذه الجملة اكتست بكساء الاستفهام وليست استفهاما وإنما هي نمط خاص يؤتى به في مواقف معينة، بقصد التمثيل أو التوضيح وهي خبرية في مدلولها »[2]

وفيصل الأمر في ذلك إنما هو التنغيم وموسيقى الكلام، أما دليل أن هذه الجملة ليست استفهامية فهو النطق وميزة هذه الجمل أنها تنطق بأشكال نغمية مخالفة عن الأنماط الصوتية التي تستعمل الأداة (أولم) .[3]

وهناك نوع آخر من الجمل يقوم التنغيم دليلا على ماهيتها، وفي حقيقتها جمل استفهامية ، ومنها قوله عز وجل :

{قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾}[4]

---

[1] - يس /31 .
[2] - كمال بشر : علم اللغة (الأصوات) ص 195 - 196 .
[3] - ينظر م . ن . ص ، ص 196 .
[4] - يس /19 .

وبالتالي هنا إنكار وقوع ذلك ، والتعجب منه ، والتوبيخ عليه ، فنغمة القارئ هي التي تنبه السامع أن الجملة استفهامية في الأصل ، ولما أردنا بالأداة التوبيخ والتعجب من الأمر. فحرف الاستفهام هنا واضح وهو الهمزة وقد تمت استفهاما إنكاريا .

كما تخضع أساليب النداء في أغلبها إلى العنصر التنغيمي ، إذ يعتبر وجود التنغيم أساسا في فهم معاني أدوات النداء من حيث القرب والبعد خاصة .

فالنداء سواء أكان للقريب أو البعيد ، لابد أن يكون متصلا بالتصويت أو التنبيه، ولا يتحقق ذلك إلا بحدوث ضغط على حروف النداء والمنادى .

وهذا حتى يحدث الإسماع المطلوب . ويجرنا الحديث إلى تصور النداء بوجود الأداة.

ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى :

{أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾}[1]

حيث افتتحت هذه الآية الكريمة بأداة النداء حيث ينادي الله عز وجل عباده المؤمنين بغرض تحذيرهم من الأقرب لهم وهنا تظهر لنا الأداة موصولة بالمنادى كأنهما معا كتلة نطقية واحدة ولا توجد سكتة بينهما.

إن كل مسألة في أسلوب النداء مرفقة حتما بالتنغيم، ولعل اعتبار القدامى الأسلوب إنشائيا توكيد لما نقول.

ويؤدي التنغيم دورا وظيفيا نحويا في أسلوب الشرط، فجملة الشرط تتكون من ثلاثة أركان: الأداة وجملة الشرط، ثم جملة الجواب، وتلتزم اللغة العربية في هذا الأسلوب ترتيبا دقيقا وصارما، حيث لا يقبل تقديما أو تأخيرا في

[1] - يس /62 .

أركانه، ونكاد نحس أن التزاما كائنا بين أداة الشرط وجملة الشرط على منحنيين مختلفين باختلاف نغمة كل جزء منهما، الأداة والشرط معا، والجواب. لأننا حين نقرأ قوله تعالى:

{ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي ٱلْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ } [1]

هذا الأسلوب من حيث النطق ينقسم إلى قسمين الأول: { وَمَن نُّعَمِّرْهُ} والثاني { ننكسه في الخلق} مع وجود سكتة أو وقفة بينهما على أن تكون نغمة السكتة صاعدة على أمل ترقب كلام بعد هذا نغمة تنزل المنحنى من ارتفاعه إلى نقطة الثبات وليس دونه . وأيضا في قوله تعالى :

{وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾}[2].

فطريقة تنغيم الركن الأول من أسلوب الشرط هي التي تميزه عن أسلوب الاستفهام . وهكذا يمكننا أن نعتبر التنغيم وسيلة ضرورية لفهم أسلوب الشرط حيث مكننا من إحداث فارق بينه وبين أساليب أخرى كالاستفهام والتمني .

فالتنغيم له دلالة وظيفية نحوية ودلالية مهمة إذ نستطيع بواسطة الحكم على جملة معينة أنها جملة خبرية تقريرية ، أو استفهامية أو تعجبية . إذ نستطيع أن ننطق بالعبارة المعينة بعدة نغمات وهي مع كل نغمة من تلك النغمات تفيد دلالة خاصة ، فتغير النغمة قد يتبعه تغير في الدلالة في كثير من اللغات .

[1] - يس /68.
[2] - يس /44 .

ثانيا : التغيرات التركيبية.

بعد أن بسطنا أرضية الدراسة الصوتية بحصر جميع الظواهر الصوتية كما وردت لدينا في السورة، نكون بهذا قد قدمنا نتائج هذه الدراسة لفائدة دراسة أخرى تتكامل معها جنبا إلى جنب في التحليل اللغوي، ونعني بها "دراسة التشكيل الصوتي*" التي تتناول دراسة تلك الوحدات ، وهي مرتبطة ببعضها البعض في سياق ما .

ومما لا شك فيه ، أن الصوت المفرد المعزول عن عائلته الصوتية التي فيها تحقق قيمته ووظيفته ، يختلف عن ذاك الذي ينتمي إلى نسق صوتي معين، ترتبط أجزاؤه بعلاقات مشتركة ، ووشائج معينة ناتجة من تجاور الأصوات ومواقعها... وتداخلها في التركيب .

كما أن التغيرات التركيبية ، هي التي تصيب الأصوات ، من جهة الصلات التي ترتبط ببعضها في كلمة واحدة ، وهي لذلك مشروطة بتجميع صوتي معين، وليست عامة في الصوت في كل ظروفه وسياقاته اللغوية.[1]

قد يتوالى صوتان متنافران صفة أو مخرجا ,أو صوتان من مخرج واحد، أو من مخرجين متقاربين مع اختلاف صفاتهما ، كأن يكون أحدهما صوتا انفجاريا والآخر احتكاكيا، أو صوتا مجهورا والآخر مهموسا أو غير ذلك، فإن ذلك التنافر وذاك الاختلاف بين تلك الأصوات المتجاورة سيؤدي – ولا شك – إلى نوع من الثقل في النطق ، مع إجهاد النفس في بذل الجهد .

إذ تجنح اللغة العربية في هذه الحالة إلى التقريب بين هذه الأصوات بوسيلة من الوسائل التي يتحقق من خلالها النطق بأقل جهد ممكن في إنتاج المركبات الصوتية المستعصية ليخف نطقها على اللسان .

[1] - ينظر : حسام البهنساوي : علم الأصوات ص 192 .

وعلى العكس من ذلك ، قد يتجاور صوتان متماثلان صفة ومخرجا ، أي مثلان، ومع ذلك يستثقل اللسان ذلك التوافق أو التماثل في نطقهما ،مما يؤدي إلى نفور النفس من ذلك التتابع . ومن هنا تتخذ العربية :« سبيل التغاير والمخالفة للفرار من الثقل ، وعسر النطق الناتج من تقارب الأصوات وتماثلها وطلبا للسهولة واليسر »[1] ، واقتصادا في الجهد العضلي المبذول .

1- المماثلة (Assimilation) :

وهي أكثر الظواهر الصوتية التي تعتري بنية اللغة العربية ، وهذه الظاهرة قد تنبه لها المتقدمون من النحاة ، وعلى رأسهم سيبويه ، وكان يسميها بـــ "المضارعة" ويقصد بها تقريب الأصوات المتجاورة فيما بينها . ويأتي ابن جني بعده ليعبر عنها بالتقريب أي "تقريب صوت من صوت" .[2]

أ- مفهومها : وهي في اللغة لا تكون إلا في المتفقين ، تقول نَحْوَهُ كَنَحْوِهِ ، وفِقْهُهُ كَفِقْهِهِ ، وطَعْمُهُ كَطَعْمِهِ، فإذا قيل هو مثله على الإطلاق ، فمعناه أنه يَسُدُّ مَسَدَّهُ ، وإذا قيل هو مِثْلُهُ في كذا فهو مساو له في جهة دون جهة ، وإذا كان ماثل بمعنى شابه ، فإن المماثلة على هذا النحو تعني المشابهة .[3]

أما في الاصطلاح فيعرفها دانيال جونز بقوله « المماثلة عملية استبدال صوت بصوت آخر تحت تأثير صوت ثابت قريب منه في الكلمة أو في الجملة»[4]، أو هي كما يراها بعضهم تلك «التعديلات التكيفية للصوت بسبب

---

[1] - بوروبة المهدي : ظواهر التشكيل الصوتي ص 31 .
[2] - ينظر : ابن جني : الخصائص 139/2 .
[3] - ينظر : ابن منظور : لسان العرب مادة (م ث ل) .
[4] - رمضان عبد التواب : التطور اللغوي - مظاهره وعلله وقوانينه ص 30 .

مجاورته لأصوات أخرى.»[1]، وبعبارة أخرى المماثلة هي « تحول الفونيمات المتخالفة إلى متماثلة، إما تماثلا جزئيا أو كليا ».[2]

وعلى ضوء هذه التعريفات يمكن أن نقول بأنه يدخل في مفهومها المتعلق بالتغير أو بالتأثير أو الحذف ، فتستغرق (الإبدال والإعلال والإدغام)[3].

وهذه الظاهرة كما تحدث بين الأصوات الصامتة ، تحدث كذلك بين الصوائت كما تحدث بين الصوامت كما تحدث بين الصوامت والصوائت معا .

ب- أنواعها :تتخذ المماثلة بين الأصوات أشكالا متنوعة [4] :

* بحسب اتجاه التأثر :

إذا كان التأثير من الصوت الأول إلى الصوت الثاني الملاحق له ، فالمماثلة تقدمية أو مقبلة ، وإذا حدث العكس ، فالمماثلة رجعية أو مدبرة .

* بحسب نسبة التأثر :

إذا كانت نسبة التأثر بين الصوتين في كل خصائص الصوت ، فالمماثلة تامة كلية ، وتكون جزئية أو ناقصة إذا كانت نسبة التأثر في بعض خصائص الصوت.

* بحسب المماسة أو عدمها :

فقد يكون الصوتان المتجاوران إما متماسين تماما لا يفصل بينهما فاصل ، وفي هذه الحالة تكون المماثلة متصلة ، وإما منفصلين بصوت أو أكثر فتسمى بذلك المماثلة منفصلة .

---

[1] - أحمد عمر مختار : دراسة الصوت اللغوي ص 324 .
[2] - م . ن . ص - ص 325 .
[3] - بوزوبة المهدي : ظواهر التشكيل الصوتي ص 185 .
[4] - ينظر : رمضان عبد التواب : التطور اللغوي ص 31.

♦صور المماثلة الواردة في السورة:

وفيما يلي عرض لبعض الأمثلة التي وردت لدينا في السورة سنتناولها بمزيد من التحليل والتعليل :

° **المماثلة التقدمية الكلية المتصلة** : أو ما تسمى بالتأثر المقبل الكلي في حالة الاتصال ،وفي هذه الحالة يكون الصامت الأول غير منفصل عن الصامت الثاني بحركة بينهما ، وأن يؤثر الصوت الأول في الثاني ، ويكون الصوتان متماثلان أي متحدان في المخرج والصفات ، أو متجانسين ، ويقصد بالصوتين المتجانسين أي هما الصوتان المتحدان في صفة من الصفات ، ويختلف في المخرج وفي بقية الصفات وبالتالي سقوط النوع الثاني .

ومن أمثلته في السورة الكريمة قوله تعالى :

{يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ۝٣٠}[1]

فقد تأثرت الميم الثانية بمثيلتها الأولى الساكنة ، وأدغمتا في بعضهما . وكقوله أيضا:

{ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ} [2].

فالتأثر في هذه الآيات كلي وهو واجب الحدوث لأن الصوتين المتماثلين لا يوجد فاصل بينهما من الصوائت .

أما بالنسبة للصوائت فمن أمثلة هذا التأثر إبدال الهمزة الساكنة باطراد مع ما يناسب حركة ما قبلها، فجعلوها ألفا إذا سبقت بفتح لأن الألف من جنس

[1] - يس/30 .
[2] - يس /31 .

الفتحة، وواوا إذا سبقت بضم ، وياء إذا سبقت بكسر[1]. ومن أمثلة ذلك قوله عز وجل: {فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٧} [2]

ويعد هذا الإبدال جائزا في عرف النحاة وقياسا مطردا يقصد إليه المتكلم قصدا إذا أراد التخفف من ثقل الهمزة [3] .

ومن صور هذه المماثلة التقدمية التي تحدث في الصوائت قراءة نافع للهمزة الساكنة فقد كان قبلها مدا يجانس حركة ما قبلها . فقد قرأنا إبدال الهمزة حرف مد من جنس سابقها في الأسماء والأفعال.

وكذلك في قوله عز وجل {وَسَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ....} [4]، وهذا التأثر لا يحدث في حالة ما إذا كان السكون في الهمزة علامة للجزم أو البناء، لأن إسقاط الهمزة يستدعي وجود حركة طويلة واجبة الحذف للجزم فيحدث في الموقع.

° المماثلة التقدمية الكلية المنفصلة :

ومن أمثلتها ضمير الغائب (هاء الإضمار) المتصل في حالتي النصب والجر الذي تقلب ضمته بتأثير صائت الكسر القصير أو الطويل قبله إلى صائت من جنسه [5] كما يلي :

- أيديهم : من قوله عز وجل {لِيَأۡكُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتۡهُ أَيۡدِيهِمۡۖ} [6].

[1] - ينظر إبراهيم أنيس : الأصوات اللغوية ص 91 .
[2] - يس /7 .
[3] - ينظر : عبد الصبور شاهين : القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث ص 97 .
[4] - يس /10.
[5] - ينظر : جان كانتينو : دروس في علم الأصوات العربية ص 146 .
[6] - يس /35.

- أنفسهم : في قوله تعالى : {سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ وَمِنۡ أَنفُسِهِمۡ وَمِمَّا لَا يَعۡلَمُونَ ۝٣٦}[1] .

° **المماثلة التقدمية الجزئية المنفصلة :**

ومن أمثلتهـــا الإمـــالـــة في قـــوله عـــز وجـــل:

{فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يَنسِلُونَ ۝٥١}[2]

فقد أميلت الألف من – الأجداث – نحو الياء لأنها تبعتها الكسرة في التركيب . والإمالة ما هي إلاّ نوع من أنواع المماثلة ومظهر من المظاهر الصوتية التي يدعو لها التقريب بين الأصوات « لضرب من تجانس الصوت »[3].

ففي الإمالة عدول عن الأبعد إلى الأقرب لتجري على اللسان على طريقة واحدة غير مختلفة ولا متنافرة ، لأن الألف تطلب من الفم أعلاه ، والكسرة تطلب من الفم أسفله، إذا المشاكلة ضرب من مذاهبها تعتمده في كلامها ، لهذا جنحت الألف نحو الياء لإزالة الثقل وليحل محله الانسجام والتماثل .[4]

وكل ذلك طلبا للأسهل لتخفيف كلفة الكلمة وتعذب في السمع مستمعها وناقلها.

---

[1] - يس/36 .
[2] - يس /51 .
[3] - ينظر : ابن جني : سر الصناعة ص 58/1 .
[4] - ينظر أحمد علم الدين الجندي : اللهجات العربية في التراث - تونس- الدار العربية للكتاب 1978م- ج1 ص277/276 .

° المماثلة الرجعية الكلية المتصلة :

ومن هذا النوع من التأثر، تأثر "لام التعريف" بأحد عشر حرفا وهي: التاء والثاء والدال والذال والراء والزاي والسين والشين والصاد والضاد والطاء والظاء و النون ، ولا يجوز معهن إلا الإدغام [1].

وفي هذا النوع من المماثلة يكون فيها الصوت الثاني هو المؤثر.

وجملة القول إن اللام تدغم في الأصوات اللثوية والصفيرية والأسنانية والمائعة لتداني مخارجها ومخرج اللام وفي ذلك جنوح للخفة ، وتظهر مع الأصوات الحلقية والشفوية والأصوات التي تخرج من وسط الحنك ، ما عدا الشين لتفشيها والضاد التي استطالت ، وسبب الإظهار تنافر المخارج.

ومن الأمثلة الواردة في السورة قوله عز وجل:

{لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ} [2]

{هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾} [3]

وكذلك تأثر النون بالميم واللام كثيرا لصفاتهما المشتركة وقربهم من المخرج فهي تشترك في نسبة وضوحها الصوتي ، ومن أوضح الأصوات الصامتة في السمع ، فهي جميعها ليست انفجارية وليست رخوة .

ومن أمثلة المماثلة الرجعية في حالة اتصال تأثر النون بالميم، قراءة نافع لقوله عز وجل :

{مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ}[4]

[1] - ينظر :ابن عصفور الإشبيلي : الممتع في التصريف ،تحقيق :فخر الدين قباوة- بيروت -دار المعرفة 1987م ط1 المجلد 2 ص 691 - 692 .
[2] - يس /40 .
[3] - يس /63 .
[4] - يس /28 .

بإدغام النون بعد إبدالها ميما في الميم المتحركة ووافقه في هذا الإدغام أغلب القراء .

كما قد يؤدي تجاور صوت النون مع الياء إدغامها، نحو قوله تعالى

{قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ٧٨}[1] .

وكل التشابهات المذكورة ، يتلاحق فيها الحرفان المتشابهان في كلمة واحدة ويوجد سواها تشابه بين الكلمتين.

° **المماثلة الرجعية الجزئية المتصلة:** ومن صورها، في قوله عز وجل:

{مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ}[2]

إذ تلتقي نون التنوين الساكنة بالواو وبعدها مباشرة فتؤثر هذه الأخيرة في النون، ولكن تأثيرها يظل ناقصا ، لأن النون قد احتفظت بأخص صفاتها وهي الغنة وهذا التأثير يعرف عند القدماء ب "إدغام بغنة " [3].

فالنون ها هنا أبدلت واوا غير أن الواو قد تكون شائبة وهي النطق بها من الأنف والفم معا ، فهو نوع من الإبدال تبعه إدغام ، ولكنه ناقص، لأنه لم يتحول الصوت المبدل إلى كل صفات الصوت المبدل إليه، مما جعل القدماء يسمون هذا النوع من الإدغام إدغاما ناقصا.

[1] - يس /78 .
[2] - يس /49 .
[3] - ينظر : ابن الجزري : النشر في القراءات العشر 24/2 - 25 .

°المماثلة الرجعية الجزئية المنفصلة :

وفيها يتأثر الصوت الأول بالثاني ، لكنه يكون متبوعا بحركة ، فمما يلاحظ في قراءة نافع أنه يؤثر الإظهار [1].

ويعتمد هذا النوع من التأثر على إشمام الضمة شيئا من الكسرة في الراء ، مثل: ابن بور، ومررت بمذعور[2]، فتأثرت هنا ضمة "الباء" في بور بكسرة "الراء" مع وجود فاصل غير حصين "الواو" الساكنة فأشمت الضمة شيئا من الكسرة .

ومن صورها في السورة قوله تعالى:

{وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾}[3]

{رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾}[4].

{وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ}[5]

[1] - ينظر إبراهيم أنيس : الأصوات اللغوية ص 72 .
[2] - ينظر : سيبويه : الكتاب 143/4 .
[3] - يس /12 .
[4] - يس /16 .
[5] - يس /37 .

2 - المخالفة (Dissimilation) :

إن التماثل ليس هو السبيل الوحيد في إحداث التوافق والانسجام بين الصوتين المتنافرين لأنه قد ينشأ في تركيب ما ، ما يؤدي إلى ثقل النطق بين صوتين متماثلين ، فتنحو اللغة منحى مغايرا للفرار من ذلك الثقل والعسر الناتج من تماثل الصوتين ، وهو سبيل التباعد والتخالف .

أ- مفهومها :

المخالفة ضرب من ضروب الإبدال ، وهي في اللغة من خلف والخاء واللام والفاء أصول ثلاثة في اللغة العربية ، أحدهما أن يجيء شيء بعد شيء يقوم مقامه ، والثاني : خلاف قدّام ، والثالث : التغيير .[1]

أما في الاصطلاح ، فيعرفها أحد الدارسين المحدثين بأنها قانون « يعمد إلى صوتين متماثلين تماما في كلمة من الكلمات فيغير أحدهما إلى صوت آخر »[2]. أو هي على حد تعبير الدكتور أحمد مختار عمر « تعديل الصوت الموجود في سلسلة الكلام ، بتأثير صوت مجاور ، ولكنه تعديل عكسي يؤدي إلى زيادة مدى الخلاف بين الصوتين *» [3] .

ويراها غيرهما بأنها : « جنوح أحد الصوتين المتماثلين في الكلمة إلى أن ينقلب إلى صوت مغاير».[4]

---

[1] - ينظر : ابن فارس : مقاييس اللغة مادة (خ ل ف) .
[2] - عبد الصبور شاهين : التطور اللغوي ص 57 .
[3] - أحمد عمر مختار : دراسة الصوت اللغوي ص 329 .
* - ويغلب في الصوت المخالف به أن يكون أحد الأصوات المائعة أو أحد أصوات العلة [أ،و،ي]
ينظر : إبراهيم أنيس : الأصوات اللغوية ص 212 .
[4] - ينظر : إبراهيم أنيس : الأصوات اللغوية ص283 .

ب- أنواعها :

ونجد المخالفة الصوتية على أصناف وأشكال متنوعة ليس المجال هنا لتفصيلها لقلة ورودها في السورة النموذجية مقارنة بما ورد فيها من صور المماثلة .

وهذا التخالف هو الآخر كما يحدث بين الصوامت ، يحدث كذلك بين الصوائت ، كما يحدث بين الصوامت والصوائت ، وقد تكون هذه الأصوات متصلة كما قد تكون منفصلة .

◄ صور المخالفة الصوتية الواردة في السورة

رغم أن المخالفة قد تطرق لها كل من الدارسين القدماء* منهم والمحدثين فمن أمثلة المخالفة في العربية : قيراط ودينار بدلا من قرّاط ودنّار والدليل على ذلك الجمع "قراريط" و "دنانير" .[1]

ومن المخالفة ما يحدث بين الحركات (الصوائت) ، كالمخالفة بين حركتي الفتح المتتاليتين إذا كانت الأولى منها طويلة ، فتتحول الثانية إلى كسرة مثل : أحوَذيّيْن ، فالأصل في نون المثنى هو الفتح ، والدليل على فتحها أنها لا تزال مفتوحة في نظيرتها في جمع المذكر ، وكذا في بعض الأمثلة التي بقيت على القديم ، وهي ما يسميه أحد الدارسين المحدثين بالركام اللغوي مثل :"شتّان" [2] وهو تثنية شتّ والشتّ = المتفرق .[3]

ومن المخالفة الصوتية كذلك ما يصطلح عليه بالمخالفة الكمية بين المقاطع : ومن أمثلتها ما يحدث لصائت ضمير الغائب – أي الهاء- في حال الإفراد إذ

*- لقد تفطن لهذه الظاهرة النحاة واللغويون القدامى وعبروا عنها بعدة أسماء ،فقد ذكرها سيبويه في كتابه "هذا باب ما شذ فأبدل مكان اللام الياء لكراهة التضعيف ،وليس بمطّرد: الكتاب 424/4 .
أشار إليها ابن جني في باب سماه "باب العدول عن الثقيل إلى ماهو أثقل منه لضرب الإستخفاف" الخصائص18/3 .

[1] - ينظر : إبراهيم أنيس : الأصوات اللغوية ص 215 .
[2] - ينظر :عبد الصبور شاهين : التطور اللغوي ص 66 .
[3] - ينظر :ابن منظور لسان العرب مادة (ش ت ت) .

من المعلوم أن العربية تزيد في كمية هذا الصائت ليصبح طويلا إذا كان تاليا لمقطع قصير [1] وتحدث له المماثلة الصوتية إن سبق بكسر فتقلب ضمته كسرة ثم يزاد في كميتها لتجانس صائت الكسر قبلها نحو :

- يَهْدِ قَـلْبَهُ < يَهْدِ قَـلْبَهُو ، عِنْدَهُ أجْرٌ < عِنْدَهُو أجْرٌ .
- سيِّئَاتِهِ < سيِّئَاتِهِي ، شُحَّ نَفْسِهِ < شُحَّ نَفْسِهِي .

ونشير إلى أن الصوائت وغيرها ، وإن كتبت ضمائرها بلا إشباع صوائتها إلاّ أنها تنطق على أصلها – أي بزيادة كميتها – في الوصل والإدراج ، مثلما سمعناها أثناء تجويد السورة الكريمة ، غير أنها إذا تبعها صامت ساكن من كلمة أخرى تتلوها فإنها في هذه الحال تنطق كما تكتب .

ويمكن أن تقاس ميم الإضمار على الماء فيمطط صائتها القصير إشباعا [2]. وذلك في الوصل حيث لم ترد لنا أمثلة في السورة الكريمة ، أما عند الوقف فليس إلاّ إسكان الميم ، وهذا ثابت في قراءة ورش عن نافع إلاّ ما يستثنى من أمثلة أحصاها القراء ، في مواضع معلومة من القرآن الكريم لا مجال هنا لذكرها .

ولا شك أن السبب في المخالفة من الناحية الصوتية هو أن الصوتين المتماثلين أو المقطعين المتشابهين يحتاجان إلى جهد عضلي في النطق بها على نسق واحد.[3]

وتيسير هذا الجهد العضلي بتدخل هذا القانون للحد من تأثير هذا التماثل أو التشـــــــابه.

[1] - ينظر :عبد الصبور شاهين : التطور اللغوي ص 67 .
[2] - ينظر د: بوروبة المهدي : ظواهر التشكيل الصوتي 286 .
[3] - ينظر :عبد الصبور شاهين : التطور اللغوي ص 64 .

ويرى أحد الدارسين أن العلة في التخالف "نفسية محضة" ، نظيره الخطأ في النطق ، فإنا نرى الناس كثيرا ما يخطئون في النطق ، ويلفظون بشيء غير الذي أرادوه ، وأكثر ما يكون هذا إذا تتابعت صوامت شبيهة بعضها ببعض ، لأن النفس يوجد فيها – قبل النطق بكلمة – تصورات الصوائت اللازمة على ترتيبها ويصعب عليها إعادة تصور بعينه ، بعد حصوله لمدة قصيرة ومن هنا ينشأ الخطأ إذا أسرع الإنسان في نطق جملة محتوية على كلمات تتكرر وتتتابع فيها أصوات متشابهة .[1]

ونلخص من كل ما تقدم إلى أن ظاهرة المخالفة ، كغيرها من الظواهر التوازنية الأخرى ، تستنجد بها اللغة العربية إذا تسرب إلى بنيتها ما يتنافى ونوقها الصوتي أو يتعارض مع باقي أنظمتها اللغوية .[2]

3- الإبدال :

هنالك ظواهر صوتية تركيبية عديدة تعتري الصوت اللغوي ، حيث مجاورته وائتلافه مع غيره في سياق ما ، وظاهرة الإبدال عجت بها كتب اللغة القديمة لأن « من سنن العرب إبدال الحروف ، وإقامة بعضها مكان بعض »[3].

والإبدال من حيث اللغة من أبدل الشيء ، وبدله أي اتخذ منه بدلا ، وأبدل الشيء بغيره ...والأصل في الإبدال جعل شيء مكان آخر [4]. أما دلالته الاصطلاحية عند اللغويين فهي وضع صوت مكان صوت آخر ، أو كما أشار

---

[1] - ينظر :براجستراسر: التطور النحوي للغة العربية : ترجمة : رمضان عبد التواب ، الرياض - دار الرفاعي - 1982م - د.ط . ص 34 .

[2] - ينظر د: بوروبة المهدي : ظواهر التشكيل الصوتي ص 269 .

[3] - الثعالبي : فقه اللغة وسر العربية : تحقيق : أمين نسيب - بيروت - دار الجيل - 1998م . ص 452 .

[4] - ينظر : ابن منظور : لسان العرب مادة (ب د ل) .

ابن يعيش إلى هذا فقال : « الإبدال هو أن تقيم حرفا مقام حرف إما ضرورة أو استحسانا» [1] .

كما أن الإبدال غير مقيد بقواعد ، فهو إقامة حرف مقام حرف مع الإبقاء على سائر أحرف الكلمة ، ولا يكون الإبدال إبدالا حقا إلاّ إذا كان بين البدل والمبدل منه علاقة صوتية .

والهدف من الإبدال التخفيف ، وما هو في الواقع إلاّ لهجات وقعت على دلالات متفقة ، ومختلفة من حيث البنية التركيبية ، ولو بحرف من أجل التباين. فإذا وجد تنافر بين صوتين كان الإبدال أحد البل إلى إزالته وإحلال الانسجام والتوافق محله.

وما يهمّنا هنا إبدال النون الساكنة عند مجاورتها لبعض الأصوات وهي أصوات ستة، النون والميم والراء واللام والياء والواو، والنماذج الواردة في السورة كثيرة نحو:

{مِن مَّرْقَدِنَا}[2]

{رَبٌّ رَحِيمٌ}[3]

{ وَمَن نُّعَمِّرْهُ} [4]

{ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ} [5].

نخلص من هذا الذي رأيناه أن سورة يس حفلت بتغيرات صوتية بداية من النبر والتنغيم ووصولا إلى المماثلة والمخالفة.

وثم تغيرات أخر مثل التفخيم والترقيق، لم نطقها لكثرتها.

---

[1] - ينظر : ابن يعيش : شرح المفصل 07/10 .
[2] - يس/52 .
[3] - يس/58 .
[4] - يس / 68 .
[5] - يس /74 .

الفصل الثاني

النظام التركيبي في سورة يس

المبحث الأول: أنماط التركيب

المبحث الثاني: وظائف التركيب

المبحث الأول: أنماط التركيب في السورة

أولا : التركيب الإسنادي

ثانيا: التركيب الإضافي

ثالثا : التركيب الشرطي

فهرس المباحث

النظام اللغوي في سورة يس		الصفحة
المقدمة		أ....د
المدخل	• القرآن معجزة لغوية	3...1
	• التحليل اللغوي للقرآن	9...4
الفصل الأول	• النظام الصوتي الافرادي	47...10
النظام الصوتي	• النظام الصوتي التشكيلي	80...48
الفصل الثاني	• أنماط التركيب	99...81
النظام التركيبي	• وظائف التركيب	120...100
الخاتمة		123...121
المصادر والمراجع		
الملحق	• سورة يس	
	• تعليقات وجيزة.	